محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولي ماستر/ تاريخ

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

الموسم الجامعي:2025/2024

اولا: القوة الإعلامية والمعلوماتية فى النظام العالمى الجديد

يقترن مصطلح القوة الناعمة ومفهومها بجوزيف ناى فى التسعينيات، فالقوة الصلبة يتم اللجوء إليها للإرغام أو العقاب على القيام بفعل أو العدول عنه بما يرضى الطرف الآخر. فى حين أن القوة الناعمة تغرى وتقنع وتحث على الاستجابة والتوافق مع أجندة صاحب القوة الناعمة.

وتشمل القوة الناعمة العناصر المستخدمة من قبل فاعل سياسى (دولة، منظمة دولية، شركة، شبكة للمجتمع المدنى) من أجل التأثير بشكل غير مباشر فى فاعل آخر بغرض حمله على تبنى وجهة نظره، وتحقيق مراميه دون الشعور بالطابع الإجبارى لهذه العلاقة. إنها مجموعة قوى نافذة تتسلل إلى البنيات، وتتمركز أساسا فى المجال الثقافى: فنون وأنماط حياة وصور ذهنية.

تسعى الدول الكبرى إلى غزو العالم والسيطرة على الشعوب من خلال عدد من الخيارات التى تمثل الأخطر والأسهل والأكثر تأثيرا لتحقيق مصالحها من خلال ما يعرف باسم "القوة الناعمة" التى تمثل القوة الروحية والمعنوية للدولة، تمتد هذه القوة إلى خارج حدود الدولة.

وعلى عكس ما يعتقد كثيرون فإن مفهوم "القوة الناعمة" بات يخضع لمؤشرات عدة لقياسه وتعيينه تعيينا منضبطا، وبعض هذه المؤشرات يتضمن عناصر مختلفة. ويصل عدد هذه العناصر، وفق ناى، إلى 75 عنصرا ضمن ست مجموعات، هى: الثقافة (متضمنة الإعلام)، والتكنولوجيا، والتعليم، والدبلوماسية، والاقتصاد، والسياسة.

وبين المحاولات الجادة التى حاولت أن ترسى معايير لقياس "القوة الناعمة" تلك المحاولة التى أثمرت "مؤشر بورتلاند"، وهو مؤشر طوّرته مؤسسة بحثية أمريكية معروفة بمساعدة عدد من الباحثين فى أهم الجامعات الغربية. ويحدد المؤشر ستة عناصر لقياس "القوة الناعمة" فى أى دولة، ويبرز بينها مفهوم "النفاذية الثقافية" التى تتضمن الإنتاج الإعلامى، والتواصل الرقمى للدولة.

يتضح لنا إذن أن الإعلام يحتل مكانة مميزة فى قلب مفهوم "القوة الناعمة"، بسبب قدرته الفائقة على صناعة الرأى العام وتشكيله. وقد حاول "ناى" أن يصوغ العلاقة بين الإعلام والرأى العام، فقال إن "المعارك لا يمكن أن تربح فقط فى ميادين القتال، بل إن الكاسب فى الحرب هو ذلك الذى تربح قصته فى الإعلام". وببساطة شديدة، فإن هذه العبارة تعنى أن تصورات الجمهور عن الأحداث كثيرا ما تقوم مقام "الحقيقة" مهما كانت بعيدة عنها؛ وهو ما جعل كثرة من الناس يؤمنون بالقول الغربى السائر"Perception Is Reality"أى "التصور هو الواقع".

ثانيا:تطور النظام الاتصالي والاعلامى الدولى:

تعد فترة الحرب الباردة مرحلة جوهرية فى تطور النظام الاتصالى والإعلامى الدولى، لأنها شهدت اندماج مكونات النظام الأساسية: التكنولوجية والسياسة الاقتصادية والثقافية والنفسية فى كتلة واحدة وظفتها الأطراف المتصارعة لخدمة أهدافها الاستراتيجية فى الصراع . فقد ساعدت تكنولوجيات الاتصال، التى كانت فى حد ذاتها أحد مجالات التنافس والصراع بين الدول الكبرى، على تدويل الاقتصاد، وظهور الاقتصاد العالمى، وإلى تحول النظم الرأسمالية من مرحلة المجتمعات الصناعية إلى مرحلة ما بعد التصنيع، وظهور مجتمعات المعلومات، أو المجتمعات المتقدمة ذات الاقتصادات القائمة على "صناعة المعلومات والخدمات" وأدى الاندماج التكنولوجى/الاقتصادى، والاندماج التكنولوجى/العسكرى، والتكنولوجى/السياسى فى مجالات الاتصالات المختلفة إلى إصرار الدول المتقدمة على عدم المساس بأوضاع النظام الاتصالى الاعلامى الدولى فى جوانبه السياسية والقانونية والثقافية، وعدم قبول فكرة التعديل والإصلاح لجعله نظاما دوليا أكثر عدالة وتوازنا لمصلحة دول الشمال والجنوب، وهو ما حول أوضاع هذا النظام إلى إحدى قضايا الصراع الأساسية فى النظام الدولى فى عقدى السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، كما شهدت هذه الحقبة ذروة عمليات الضبط الاجتماعى والسيطرة على العقول، والاختراق المباشر وغير المباشر لتوجهات الدول النامية السياسية والاقتصادية والثقافية لدمجها كتوابع فى النظام الرأسمالى العالمى.

1:إعادة هيكلة النظام الاتصالى:

عندما انتهت الحرب العالمية، سعت الدول إلى إعادة بناء شبكاتها الاتصالية التى دمرتها الحرب، وشملت عملية إعادة البناء ربط الشبكات الوطنية بالشبكات الدولية، التى شرع فى تطويرها فى ضوء التقنيات الحديثة التى ولدتها الحرب العالمية الثانية. وكان ذلك دليلا على بداية اندماج النظام الاتصالى الدولى تكنولوجيا، وقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ظهور اتجاهين، الأول: يسعى إلى تفكيك النظام الاتصالى القائم لإعادة بنائه على أسس جديدة من العدل والمساوة بين الدول، أما الاتجاه الثانى، فقد تمثل فى اتجاه النظام الدولى إلى إنشاء منظمات وهيئات اتصالية وإعلامية دولية تحت مظلة الأمم المتحدة لترشيد النظام الاتصالى والإعلامى الدولى.

2:مكانة الدولة فى سلم القوة:

لدى كل الدول إدراك لمكانتها فى سلم القوة بالنسبة لغيرها من الدول، ويتجه هذا الإدراك جزئيا لأشكال تدفق المعلومات وحجمه واتجاهاته، فالمعلومات الواردة من دولة قوية أو من دولة عدوانية قد تكون معلومات مهمة وحيوية إلى حد كبير بالنسبة لجيرانها من الدول الصغرى التى تضطر لتقرير ما إذا كان يتعين عليها الاستعداد لعدوان محتمل، أو تسعى للدخول فى تحالف مع جارتها الأكثر قوة. بيد أن ما تفعله الدول الصغرى يحتمل أن يكون أقل أهمية لدى الدول الأقوى. وعلى هذا يرى "هستر" أن كم المعلومات الذى يتدفق من الدول الأقوى إلى الدول التى تليها

فى سلم القوة يفوق كم المعلومات المتدفق فى الاتجاه العكسى. وبالطبع فإن العوامل ذاتها التى تجعل من القوة عاملا محددا فى هذا الصدد والأكثر تعقيدا ينتج معلومات أكثر من غيره. وتشمل المكونات التى تحدد مكانة الدولة فى سلم القوة: حجمها الجغرافى، وعدد سكانها، ودرجة نموها الاقتصادى، وعمرها كدولة ذات سيادة.

3:الضبط الاجتماعى والسيادة السياسية للدول:

ترتبط عملية الضبط الاجتماعى والسيطرة على تدفق المعلومات من وإلى الدول ارتباطا مباشرا بمفهوم السيادة السياسية للدول. فمهموم السيادة السياسية يمكن أن يتسع وينكمش عن طريق المعلومات. فالدول التى تقل سيطرتها على المعلومات التى تتدفق عبر حدودها وتخل بأمنها الوطنى والاجتماعى تنكمش سيادتها الفعلية وتدرك كل الحكومات والقوى المعارضة لها هذه الحقيقة؛ ولهذا تسعى كل الأطراف إلى السيطرة على المعلومات.

ثالثا:النظام العالمى الجديد للمعلومات والاتصالات (NWICO):

تكمن فكرة هذا النظام فى محاولة العديد من الدول مواجهة المشكلات المرتبطة بما أطلق عليه بعضهم (الاستعمار المعلوماتى) (Information Imperialism).

فالاتصال نشاط محورى لجميع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويدعو النظام العالمى الجديد إلى إجراء تغييرات هيكلية فى الاتصال على المستوى العالمى وصولا إلى عدالة أكثر ومساواة أكثر وتفاعل أكثر بالنسبة إلى تبادل المعلومات، فضلا عن ضرورة مزيد من الاعتماد على الذات والحفاظ على الهوية الثقافية.

:ومن أبرز خصائص النظام الدولى للمعلومات هى:

1- التسارع: تتسم التغييرات فى المجتمعات تزايد سرعتها باستمرار وما يخلق فجوة كبيرة تتزايد باستمرار بينها وبين الدول النامية.

2- الانفجار المعرفى: وتمثل الإفرازات البارزة بالدعوة الصارخة إلى (نظام إعلامى عالمى جديد).

الظواهر المرتبطة بالنظام الإعلامي الدولى:

لقد أصبح العالم يواجه ظاهرتين تحدثان فى وقت واحد، إحداهما: تطور النظام الإعلامى الدولى من طابع الثنائى إلى طابع النظام الواحد، حيث أصبح القطب الواحد هو المهيمن على النظام العالمى مع وجود مراكز إعلامية أقل قدرة وأضعف نفوذا مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان، وتكمن مشكلة هذا النظام فى أن الطاقة العقلية التى تولدها تقنيات الإعلام تملك، أو تدير، غالبيتها العظمى مؤسسات إعلامية تعمل عبر الدول وتتحكم هذه المؤسسات عبر الدول فى قنوات الاتصال فى الدول الساعية للنمو، فتنساب الرسائل الإعلامية والثقافية من المركز (الدول المتقدمة) إلى الأطراف (الدول الساعية للنمو).

الفاعلون فى السياسة الخارجية:

1- الرأى العام: حيث إن قدرة الجمهور على الحصول على المعلومات واستخدامها فى تشكيل الرأى العام جزء من الوظيفة الديمقراطية، لكن حصول الجمهور على المعلومات يعد حاسما فى تشكيل الرأى العام فى قضايا السياسة الخارجية، ولذلك هناك علاقة قوية بين وسائل الإعلام والرأى العام.

2- صناع القرار: كيف يستجيب صناع القرار للرأى العام؟ لابد من أن يحصل صناع القرار على المعرفة عن الرأى العام فى القضية، لكن خطابهم يؤثر أيضا فى الرأى العام، وهم يميلون إلى قراءة استطلاعات الرأى العام. بما يتفق مع رؤيتهم، ولكن هناك فجوة معرفة أو فجوة معلومات Information gapبين القادة والجمهور، وفى الصراعات الكبرى يكون التحدى هو: كيف يمكن تقليل هذه الفجوة، وهذا يفتح المجال لدور وسائل الإعلام لصنع العلاقة بين الرأى العام وقيادة السياسة الخارجية.

3- وسائل الإعلام: إن وسائل الإعلام فاعل استراتيجى فى عملية صنع السياسة الخارجية؛ فهى تقدم للجمهور خطاب النخبة، وتقدم القصص الخبرية فى أطر تستجيب لتفضيلات القادة. ولذلك فإن دور وسائل الإعلام فى السياسة الخارجية يرتبط باستقلالها، ومدى التزامها بالأطر التى حددها خطاب القادة للصراع. ويتضح ذلك من دور وسائل الإعلام فى تشكيل الرأى العام عقب 11 سبتمبر والتزامها بالأطر التى حددها الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش.

رابعا :الصورة الذهنية كمتغير فى العلاقات الدولية:

تكمن سياسات القوة فى العالم فى القدرة على صنع صورة الدولة، وهو ما يطلق عليه القوة الناعمة Soft Power. فمع تزايد أهمية الجماهير فى الشئون الدولية ازدادت أهمية عملية صنع صور الدول، ما يصعب أن نرى شيئا يتعلق بالسياسة الخارجية ولا يرتبط بالدعاية والعلاقات العامة. وأن العملية الدبلوماسية تتحول من الدبلوماسية التقليدية إلى الدبلوماسية العامة، ما يتطلب ألا تقتصر ممارسة الدبلوماسية العامة على الدبلوماسيين فقط، وإنما تمتد إلى مختلف الأفراد والجماعات والمؤسسات التى تنخرط فى أنشطة الاتصال الدولى، التى تتصل بالعلاقات السياسية.

نشر إدوارد بيرنيز أحد أهم رواد العلاقات العامة Edward Bernaysأول مقالة علمية له عن هندسة الجمهور عام 1947. وقد استخدم فى سبيل ذلك الدعاية السياسية (البروبوجاندا) وحملات العلاقات العامة، والتدفق الإعلامى،وغيرها من الاستراتيجيات والوسائل الإعلامية التى تؤثر فى اتجاهات الجمهور، ما زاد من أهمية القوة المرنة بالاعتماد على طرق الإقناع والتأثير فى الرأى العام العالمى، والقدرة على التعبئة والحشد والحصول على المساندة، وأدى ذلك إلى وجود زخم كبير من حجم الفاعلين فى العلاقات الدولية والتأثير فى عملية صنع السياسة الخارجية للدول والسياسة الدولية بصفة عامة، وأصبح لتلك القوة الجديدة تأثيرات فى جميع المجالات وأنماط الحياة على

مستوى العالم وذلك من خلال التأثير فى المجال السياسى عن طريق "تدفق المعلومات"؛ حيث تتحول المعرفة إلى قوة أساسية أقوى من قوى الإنتاج.

وتعد فكرة صناعة الرأى العام التى تحدث عنها وولتر ليبمان عام 1922إحدى وسائل هندسة الجمهور، حيث يفترض فيها قدرة النخب على تشكيل الرأى العام للجمهور والهيمنة عليهم دون استخدام القوة، من خلال إقناع قادة الرأى العام والنخب بآراء معينة.

أ:القوة الإعلامية وفرض السيطرة:

تتميز القوة الإعلامية بأنها يمكن أن تستخدم فى فرض الاستعمار الثقافى، ولا يقتصر استخدامها على تحقيق جاذبية الدولة، وبناء سمعتها وصورتها كما يتضمن مفهوم القوة الناعمة.

هذا لا يعنى أننا يمكن أن نفصل تماما بين هذه المفاهيم الحديثة، فوسائل الإعلام من أهم مصادر القوة التى تستخدمها الدول فى بناء قوتها الناعمة، وتحقيق أهداف سياستها الخارجية، وبناء علاقاتها الطويلة المدى مع الشعوب.

خامسا:مراحل التطور التكنولوجى للمعلومات:

شهدت الخريطة الاتصالية قفزات تكنولوجية وإعلامية هائلة ومتسارعة، فمنذ منتصف الستينيات عندما وضع أول قمر صناعى للاتصالات فى مدار قريب من الأرض والدخول فى الألفية الثالثة،فإن تكنولوجيا الاتصال أصبحت عنصرا ملازما لكل مظاهر الحياة العصرية، كما أن "مصطلح تقانة الاتصال" يعنى التقنيات والمؤسسات والأساليب التى بواسطتها تتيح المعلومات وتعلب وتوزع على مستقبلين متفرقين فوق رقعة جغرافية.

ويمكن تعريف التكنولوجيا بأنها: مجموعة من النظم والقواعد التطبيقية وأساليب العمل التى تستقر لتطبيق المعطيات المستحدثة لبحوث أو دراسات مبتكرة فى مجالات الإنتاج والخدمات كونها التطبيق المنظم للمعرفة والخبرات المكتسبة التى تمثل مجموعات الوسائل والأساليب الفنية التى يستعملها الإنسان فى مختلف نواحى حياته العملية ومن ثم فهى مركب قواه المعدات والمعرفة الإنسانية. كذلك فإن التكنولوجيا: هى مجموعة المعارف والخبرات المكتسبة التى تحقق إنتاج سلعة أو تقديم خدمة وفى إطار نظام اجتماعى واقتصادى معين.

ومن منظور اتصالى، يمكن القول إن تكنولوجيا الاتصال هى مجموع التقنيات والأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة، التى توظف "لمعالجة المضمون أو المحتوى" الذى يراد توصيله بعملية الاتصال الجماهيرى أو الشخصى أو التنظيمى أو الجمعى، التى بها تجمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو الإلكترونية، ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات، ثم استرجاعها فى الوقت المناسب، ومن ثم عملية نشر هذه المواد الاتصالية أو الرسائل أو المضامين.

أما تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فهى كل ما ترتب على الاندماج بين تكنولوجيا الحاسب الآلى والتكنولوجيا السلكية واللاسلكية والإلكترونيات الدقيقة والوسائط المتعددة من أشكال جديدة لتكنولوجيا ذات قدرات فائقة على إنتاج المعلومات وجمعها وتخزينها ومعالجتها ونشرها، وقد مهدت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الطريق للانتقال من المجتمع الصناعى الى مجتمع المعلومات.

سادسا:مجتمع المعلومات Information Society:

كان أول ظهور لمصطلح "مجتمع المعلومات" فى اليابان فى الستينيات من القرن الماضي، وذلك فى كتاب بعنوان:"مجتمع المعلومات:من المجتمع الصلب إلى الناعم" "TheInformation Society: From Hard to Soft Society"، الصادر عام 1969 لـ "ujiro Hayashi"، وكتاب "مقدمة لمجتمع المعلومات" " Introduction to an Information Society"، الصادر عام 1968 لـ "Yoneji Masuda and KonichiKohyma"وقد ارتبط المفهوم فى البداية بوصف التغيرات الاقتصادية والاجتماعية السريعة فى المجتمع الناجمة عن عملية التحديث فى "المجتمعات ما بعد الصناعية" Post Industrial Societies(١)، لكن منذ منتصف التسعينيات ارتبط المفهوم بصورة أكثر بالتطورات التكنولوجية داخل المجتمع الناجمة عن الموجة الثالثة المتمثلة فى الثورة المعلوماتية، ورغم استخدامه فى البداية بقصد تحرير جميع أشكال الاتصالات، فإنه توسع تدريجيا ليشمل كل الأبعاد المادية والبرمجية Hardware and Softwareالخاصة بالإنترنت، ثم توسع أيضا ليشمل جميع الأدوات المتعلقة بالتعامل مع المعلومات، سواء كانت جمع أو تخزين أو تداول أو استرجاع أو تحليل المعلومات (٢).

أُطلق مصطلح "اقتصاد المعرفة Knowledge Economy" للمرة الاولى على النظام الاقتصادى القائم فى الولايات المتحدة وذلك عوضا عن مصطلح "الاقتصاد الصناعى industrial Ecnomy" التقليدى. الأمر الذى يعبر بدوره عن بدء مرحلة جديدة من مراحل التحول فى المجتمع الإنسانى، غير أن ذلك لا يعنى بالضرورة انتقال جميع دول العالم إلى "اقتصاد المعرفة" نتيجة صعوبة توفير المقومات الضرورية لإقامة النظام الاقتصادى الجديد.

لكن مجتمع المعلومات ذاته لم يكن وليد العقدين أو الثلاثة الأخيرة، وإن كان مفهوم مجتمع المعلومات قد تبلور وأخذ منحى عالميا من الانتشار خلال العقد الأخير فقط وخاصة بعد قمة جنيف للمعلومات 2003، ومن ثم فإن إرهاصات مجتمع المعلومات تمثلت فى عدة ابتكارات حديثة وقديمة انتشر بعضها فى القرن التاسع عشر: كالهاتف، والتلغراف، أو القرن العشرين كالتلكس، والفاكس،والراديو، والتلفزيون،والكمبيوتر؛ وهى الأدوات التكنولوجية التى أحدثت طفرة فى عالم المعلومات والتواصل الإنسانى. غير أن هذه الإرهاصات جميعا قد توجت مع أواخر القرن العشرين بظهور الإنترنت وانتشاره عالميا محدثة طفرة هائلة فى عالم التواصل الإنسانى وموجدة خضما هائلا من المعلومات والمعرفة.

فمجتمع المعلومات هو نتاج عملية تطور بعيدة الأمد وليست حديثة العهد بينما تمتد جذورها إلى أكثر من مائة عام، وهى عملية التطور التى أدت إلى ظاهرة الانفجار المعلوماتى الناتج عن التطور التكنولوجى الهائل والتكنولوجيات

الحديثة المحيطة بنا، وهو الانفجار المعلوماتى الذى يعد سببا رئيسيا للعديد من التغيرات الهائلة التى من بينها بزوغ نجم مجتمع المعلومات.

ومن ثم نخلص إلى أن مجتمع المعلومات عبارة عن مزيج متجانس من ثلاثة محتويات رئيسية هى: المعلومات، والاتصالات، والتكنولوجيا؛ وهى المقومات الثلاثة الرئيسية التى تعتمد عليها مجتمع المعلومات المعاصر لاستحداث معرفة ذات قيمة مضافة فى إطار مقومات بيئة الابتكار والابداع.

أ:بيئة المعلومات Information Environment:

يشير مصطلح بيئة المعلومات إلى المعلومات السياسية المتدفقة فى وسائل الإعلام، وتشمل: التقارير الإخبارية والتعليقات والمفاتيح المتضمنة فى خطابات الصفوة.

وتحدد المعلومات طبيعة التأثير الذى تحدثه وسائل الإعلام، وقد فرق جون زيلر بين نوعين من البيئات المعلوماتية، أحدهما يتضمن رسائل أحادية الاتجاه، والثانى يتضمن رسائل مختلفة الاتجاه، ولا يشترط أن يكون كل اتجاه مساويا للاتجاه الآخر فى القوة.

ويشير الباحثون إلى بيئة الرسائل المتعددة الاتجاهات أكثر تعقيدا من الناحية المعرفية، وتدفع بالمتلقين إلى البحث عن مفاتيح، تدلهم على الرسائل التى يجب أن يتبعوها، حيث إنها تقدم لهم ثروة من المعلومات والمفاتيح التقييمة المتنوعة، ويترتب على صعوبة وصول هذه الرسائل إلى التلقين، على عكس البيئة المعلوماتية الأكثر بساطة وصفاء، التى تقتصر على الرسائل الأحادية الاتجاه التى يسهل وصولها إلى المتلقين.

ب:الحرب فى العصر الرقمى:

إن الإسهامات التى اقترحها "جيمس ديران" منظر العلاقات الدلية، تكشف عن وضع التكنولوجيا فى ظهور شكل عالمى من أشكال "العنف الافتراضى" "Virtual violence"،وما يمثله من خوض الحروب من مسافة بعيدة؛ حيث إن العنف العسكرى هو أكثر الوسائل فعالية لحل المشكلات السياسية التى تبدو صعبة الحل. ويضيف "Deer Derain" أن الحرب تستغل التكنولوجيات الرقمية لإظهار أخلاقيات القتل فى صورة متناقضة بنحو حاد مع أشكال الحرب السابقة، فالحقيقة تتداخل مع الخيال، مع دمج الجانب الإفتراضى للجانب الواقعى فى عمليات المحاكاة بالحاسوب، فتحجب هوية المسئول، ومن ثمهوية من يجيب أن يحاسب.

إن الإشارة إلى ظهور التكنولوجيات الرقمية قد أعاد صياغة الفروق المألوفة بين الحروب "القديمة" والحروب "الجديدة" التى تؤدى إلى إثارة الجدل حول عدد من القضايا المثيرة للاهتمام.

وفى ضوء ذلك، هناك حزمة من أنوع الحروب، كل واحد منها يتوافق مع نماذج مختلفة من التحولات التى تشهدها الدول التى تتكشف وضوحها داخل بيئة ما بعد الحرب الباردة. ويكون وصف تلك الأنواع على النحو التالى:

ج: حروب الشبكات Network Warfare:

يستخدم هذا المصلح لوصف الشبكات المسلحة للدولة والفاعلين من غير الدول non-stat actorsمثل وحدات القوات النظامية، أو غيرها من أجهزة الأمن، وكذلك الجماعات شبه العسكرية، وأمراء الحرب، والخلايا الإرهابية، والجماعات الإجرامية المنظمة والمرتزقة، وما إلى ذلك. وتتألف هذه الشبكات من تحالفات أفقية غير متماسكة، وتخوض شكلا من أشكال الحرب التى تعبر بوجه عام عن "الحروب الجديدة"، وتلجأ هذه الشبكات إلى سردية مشتركة- تعتمد فى الأغلب على أيديولوجية سياسية متطرفة- وتتمثل "الاستراتيجية" فى كسب القوة السياسية.

د:الحرب المشاهدة Spectacle Warfare:

إن السمة المميزة لهذا النوع هى إدارة الحرب على "مسافة طويلة"، إما من خلال استخدام تكنولوجيا الطائرات والصواريخ، وإما عن طريق وكلاء، لمنع وقوع خسائر بشرية. وتعد حرب الخليج (1990- 1991) نموذجا لهذا النوع من الحروب على نطاق واسع؛ حيث مارست إدارة الإعلام بالمثل دورا فى ضمان التقليل من تأثير الأضرار الجانبية، فيما يتعلق بالرأى العام الغربى.

ه:حرب الحداثة الجديدة New-Modern Warfare:

وهذا النوع من الحروب يحتوى على "تطور القوات العسكرية الكلاسيكية فى الدول التى تمر بمرحلة انتقالية كبيرة" التى تشير من خلالها إلى بلدان مثل روسيا والهند والصين؛ حيث تحدث عملية تحويل الاقتصاد المركزية إلى نظام دولى أكثر توجها نحو السوق.

وقد أصبحت وسائل الإعلام الإخبارية بمنزلة المنصة الحاسمة أو سيناريو الإنتاج الذى تأخذ منه استراتيجيات العمليات العسكرية توجهاتها، وذلك إلى درجة أن الحروب البعيدة تقدم بوصفها "رياضة مشاهدة" بالنسبة إلى المجتمعات الغربية، وهذا يستتبع أن أهمية التغطية الإخبارية تستحق اهتماما وثيقا عند تتبع كيف كان ينظر إلى الحروب القديمة والجديدة الافتراضية، إلى جانب توقع هجمات سيبرانية فى ضوء الصراعات العسكرية.

و:الحرب من أجل الرأى العام:

إن أهمية كسب "قلوب وعقول" الرأى العام، وهى حملة يشير إليها أحيانا المخططون العسكريون باسم "ساحة المعركة الثانية" Second battlefield، التى اعترف بها منذ فترة طويلة بوصفها مصلحة حيوية فى حد ذاتها. وعلى مدى العقد الماضى تطورت أساليب "إدارة الإدراك" Perception managementبنحو متزايد، وفى الوقت الذى جرى فيه التدخل فى كوسوفو بقيادة الولايات المتحدة على سبيل المثال، كان المسئولون العسكريون يسعون جاهدين إلى إعادة صياغة العلاقة العسكرية والإعلامية فى ضوء الدروس المستفادة من النزاعات السابقة فى ذلك العقد، وقد ساعد

ظهور خدمات الأخبار التلفزيونية العالمية فى الوقت الحقيقى على مدى 24 ساعة، بقيادة شبكة "CNN" فى تحويل الصراع إلى مشهد إعلامى متسلسل، فضلا عن الدور المؤثرالذى مارسته CNNفى مجال الدبلوماسية التلفزيونية .telediplomacy

إن الممارسات الصحفية دفعت غرف الأخبار إلى وضع مفهوم "حروب المعلومات" لمعالجة الأحداث والتحولات السياسية من مسرح الحرب إلى الجمهور فى أماكن بعيدة، فى ظل بيئة المعلومات الواسعة التى تستند إليها عملية تفسير الأحداث غير المتوقعة.

ما تنشره وسائل الإعلام الجماهيرية عن الشئون الدولية، هو الذى يحدد صورة الدولة وسمعتها. وأظهرت دراسات عدة أو وسائل الاتصال تختار الأنباء الدولية التى تنشرها طبقا لمعايير تشبه إلى حد كبير المعايير التى تختار بها الأنباء المحلية. فالدول التى تتبوأ مكانة عالية فى المجتمع الدولى غالبا ما تحظى بالاهتمام فى صحف الدول المعنية. وتؤدى المصالح الاقتصادية والعلاقات الأيديولوجية دورا فى أن تحظى دول معينة بتغطية كبيرة واهتمام كبير فى وسائل اتصال الدول الأخرى.

ر:حرب المعلومات:

إن ثورة المعلومات كانت الركيزة الأساسية للعولمة فى اتجاهاتها المختلفة إعلاميا واقتصاديا وسياسيا؛ فقد أتاحت المعلومات وتقنياتها للشركات المتعددة الجنسية والكيانات الإعلامية الكبيرة أن تبرمج خططا باتجاه اختراق الحدود الوطنية للدول الأخرى وفرض علاقات جديدة بدأت انتهاكا لسيادة البلدان الأخرى، لاسيما عندما تستعمل فى الاتجاه الذى يخدم مصالح وسياسات البلدان الأخرى. وقد تكون المعلوماتية العنصر الأهم والسلاح الأهم ضمن أسلحة العولمة. فالمعلوماتية تمتلك خاصية تنفرد بها عن باقى التغيرات الجديدة، تلك هى إمكاناتها فى التأثير وتجاوز الثقافات وحتى الاشتراك فى صناعتها.

ويطلق على الأسلوب الجديد الذى يحظى باهتمام المؤسسة العسكرية الأمريكية اصطلاح "عقيدة المعلومات" (Information Doctrine) حيث توصف المعلومات بأنها رصيد استراتيجى، وأن مجال المعلوماتية هو سبيلها لسيطرة الولايات المتحدة العالمية. إن السيطرة الإعلامية تتم عبر التحكم فى تدفق المعلومات الذى تقوم به وكالات الأنباء والصحف الدولية، فى معظم الدول النامية دون أى عوائق أو حواجز، مستعينة فى عملها هذا بتكنولوجيا العصر المتقدمة المتمثلة بالتوابع الفضائية لشبكات الإعلام التى تسيطر عليها الاحتكارات الدولية الكبرى.

سابعا:إدارة المعرفة كمحرك للقوة:

تعمل معظم الدول، فى عالم يتسم بالتغير المتسارع فى أنساق القوة وموازينها، وغلبة المصالح على التفاعلات الدولية، على إيجاد صيغ جديدة للرفع من قدرتها التنافسية والتعزيز من مصادر قوتها فى إدارتها للصراع. ذلك أن الحفاظ على مصالحها يعد الضابط الرئيسى لقواعد اللعبة، إلى جانب القوة وموازين القوى. ويبرز دور المعرفة، كقوة ناعمة

تسهم فى تغيير التفاعلات الدولية فى مجال الصراع، بحسبانها ميزة تنافسية حقيقية يمكن للدولة من الاستفادة الكاملة من المعارف الواضحة، والمعارف الضمنية التى تعمم داخل بيئتها الداخلية والخارجية.

فدون مثل هذه الإجراءات التى تهدف لإدارة المعرفة، سيضطر صناع القرار تجديد دورة الحياة(السياسية، والمدنية، والحقوقية، والاقتصادية، والاجتماعية،والثقافية) باستمرار، عبر اللجوء إلى الخبراء والتجارب الخارجية التى لا يمكن تحمل تكلفتها، وانعكاساتها على الوعى الاجتماعى للشعوب، والمسار التاريخى للأحداث التى تتبنى المعرفة، كمحرك للقوة الناعمة، على ثلاث ركائز أساسية، الأولى: المعلومات كمصدر رئيسى للسلطة،الثانية:طبيعة التفاعل تجاه المعلومات،الثالثة والأخيرة:القدرة على الابتكار عبر استخراج عناصر للقوة من هذه المعلومات.

إن علماء الاتصال أدركوا أن وسائل الاتصال التى اندمجت وتفاعلت مع التطور التكنولوجى المتسارع، أضحت سلاحا خطيرا ومؤثرا فى إطار العلاقات الدولية، وفى المساهمة بصياغة محيط المصالح والغايات لجميع الدول،بينما الأسلحة المعلوماتية تعكس عدم تكافؤ هائل بين الفواعل، فى شن حرب المعلومات. ففى عصر الكاميرا الرقمية والموقع الإلكترونى، قد يتمكن الطرف الأضعف (الذى يدرك تماما أن وسائل الإعلام هى ظواهر معولمة) من عرقلة الادعاءات المزيفة للطرف الأقوى وتفنيدها والرد عليها فى كثير من الأحيان، فقد أعاد التطور التكنولوجى والمعلوماتى تشكيل مفهوم القوة، وأعد ظهور فواعل جديدة.

وبات جليا أن من يمتلك آليات توظيف القوة الإعلامية والمعلوماتية يصبح أكثر قدرة على تحقيق أهدافه والتأثير فى أداء الفاعلين المستخدمين لهذه البيئة، فكان لثورة المعلومات والاتصالات انعكاساتها فى ربط المصالح القومية للدول بالبنية التحتية الحيوية لها.

لذا، تتطلب القوة الإعلامية مضاعفة قوتها المعلوماتية وتطوير الإمكانات بما يتناسب وتوظيف التقنية المستحدثة بشكل محترف،ما يتطلب توفير الآليات اللازمة لمواجهة تلك التحديات، فضلا عن التنسيق بين مصادر القوة لتحقيق أهداف الدولة، والسعى لتحقيق التوازن بين مصادر القوة المختلفة.

إن التفاعل والاتصال سمة إنسانية منذ قديم الزمان وقد تعددت وسائل الاتصال قديمًا من الاتصال الشفهي والمكتوب إلى أن تطورت الوسائل بعد الثورة الصناعية واختراع الصحف والإذاعة والتليفزيون وتواصل الأمر لعقود طويلة حتى اكتشاف الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وهو الحدث الأهم الذي غير مسار التاريخ وجعل العالم قرية صغيرة ضيقة الأطراف وصولًا لما يعرف بالإعلام الجديد أو الإعلام البديل واستخدام المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي في نقل مجريات الأحداث وظهور مجموعة من المؤثرات الإلكترونية التي تنقل أفكار مختلفة للأفراد.

ورغم التطور الذي شهدته تكنولوجيا الإعلام الجديد إلا أنها لم تلغي وسائل الاتصال القديمة ولكن طورتها بل غيرتها بشكل ضخم، وأدت إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها

بالأخرى بشكل ألغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل، حيث أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرية تتسم بالطابع الدولي أو العالمي.

ثامنا:الاعلام الجديد

يحظى الإعلام ضمن إطار ثقافي وتاريخي وحضاري سمات العصر الذي يولد فيه وخصائصه، وفي الواقع، فإن عصر المعلومات أفرز نمطاً إعلامياً جديداً يختلف في مفهومه وسماته وخصائصه ووسائله عن الأنماط الإعلامية السابقة، كما يختلف في تأثيراته الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية الواسعة النطاق لدرجة أطلق فيها بعضهم على عصرنا هذا اسم (عصر الإعلام)، ليس لأن الإعلام ظاهرة جديدة في تاريخ البشرية، بل لأن وسائله الحديثة قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر وقوة التوجيه وشدة الخطورة أدت إلى تحولات جوهرية في دور الإعلام، وجعلت منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع.

وأضحى المجتمع مفتوحًا ومتاحًا للجميع حتى لغير المتخصصين والدارسين لهذا المجال مما تطلب بذل مزيدًا من الجهد في التفكير الناقد حيث غيرت هذه الوسائل التكنولوجية كل نواحي الحياة وخلقت أنشطة جديدة للأفراد والمجتمعات وتتمثل أهمية الإعلام في الآثار التي يحدثها من قيم وأفكار ومعتقدات فوسائل الإعلام هي مصدر المعلومات ومع التطور التكنولوجي أصبح مصدر المعلومة في وضع خطر فلا ندري ما مصدر المعلومة الصحيح وكيف نتعامل معه .

وتعد أهمية دراسة الإعلام الجديد نابعة من مدى وقوة تأثيره في الآونة الأخيرة على الواقع الاجتماعي والسياسي والأمني والثقافي وأيضًا لحداثة المجال فنتيجة لذلك اتجهت الأدبيات النظرية والدراسات لتتناول هذا المجال الجديد الذي فرض نفسه على الواقع وأصبح منافسًا للوسائل الأخرى بجدارة مما يستدعي تحول الأنظار إليه .

وهذه الدراسة تسعى للبحث في ماهية الإعلام الجديد بجدالات هذا المفهوم وما هي أنماط التغير التي طرأت على الإعلام بشكله التقليدي ليتحول إلى الإعلام الجديد وما هي الإشكاليات التي طرحها هذا المفهوم في واقعنا الاجتماعي والسياسي المعيش.

أ:نشأة الإعلام الجديد:

ظهرت وسائل الإعلام الجديد كمصطلح واسع النطاق في الجزء الأخير من القرن العشرين ليشمل دمج وسائل الإعلام التقليدية مثل الأفلام والصور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمطبوعة، مع القدرة التفاعلية للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات، وتطبيقات الثورة العلمية التي شهدها مجال الاتصال والإعلام، حيث ساهمت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال في التغلب على الحيز الجغرافي والحدود السياسية، والتي أحدثت تغييرا بنيويا في نوعية الكم والكيف

في وسائل الإعلام. والمقصود بوسائل الإعلام الجديدة ببساطة هي وسائل الإعلام الرقمية وذلك لتفريقها عن التفاعلية والشبكية.

ب:مفهوم الإعلام الجديد:

الإعلام الاجتماعي شأنه شأن مفاهيم العلوم الاجتماعية ليس هناك مفهوم شامل جامع ولكن تتعد التعريفات والأطروحات التي تناولت المفهوم وتعددت صور المفهوم فبعض يسميه بالإعلام الشبكي وبعض بالإعلام الإلكتروني وآخرون بالإعلام الرقمي في حين يطلق عليها أحيانًا بالإعلام الشبكي أو إعلام المجتمع و رغم الجذور التاريخية للإعلام الجديد كمضمون إلا أن مصطلح الإعلام الجديد قد ظهر بشكل واضح في الآونة الأخيرة مع الثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال ولقد تعددت الدراسات التي تناولت مفهوم الإعلام الجديد وانقسمت إلى محورين يركز أولهما على إدماج الإعلام التقليدي بالوسائل الحديثة (الكمبيوتر) والشبكة المعلوماتية بينما ينصب الثاني على تقنيات الاتصال الرقمي بالأساس والتي أدت حتمًا إلى ظهور أنماط جديدة من الاتصال الإعلامي والجماهيري.

ومن أبرز التعريفات المطروحة تعريف (لوجان) حيث يشير فيه إلى استخدام الوسائل الرقمية والتي تتميز بالفاعلية وثنائية الاتجاه في مقابل الوسائل التقليدية والتي تعتمد على الاتجاه الأحادي مثل التليفزيون والراديو والتي لم تتطلب في عملها أية تقنية والعديد من وسائل الإعلام الجديد نشأت عن طريق استخدام وسيلة قديمة والتطوير فيها على سبيل المثال ظهر التليفزيون عام 1948 وكان يعد إعلامًا جديدًا آنذاك لكنه لم يعد يصلح الآن هكذا, ولكن بإدماج التليفزيون مع الكمبيوتر من خلال تسجيل الفيديو الرقمي (نظام TiVo (يصبح إعلامًا جديدًا.

كما أن الإعلام الجديد يوصف بأنه العملية الاتصالية الناتجة من اندماج ثلاثة عناصر هي الكمبيوتر والشبكات والوسائل المتعددة.

ونستنتج من خلال العرض السابق للتعريفات أن هناك حالتين تفرقان الإعلام الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الإعلام الجديد والكيفية التي يتم من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت مع بعضها البعض فضلاً عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس التي تميزه وهي أهم سماته.

كما أن فكرة الجدة يمكن استقراؤها من أن الإعلام الجديد يشير إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية، خاصة فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية والتخصيص، وهما تأتيان كنتيجة لميزة رئيسية هي (التفاعلية).

اجيال الحروب

المقدمة:

الحرب ظاهرة إنسانية موغلة في القدم بل ارتبطت ببداية الوجود الإنساني على الأرض، فالإنسان حارب الطبيعة والحيوانات ومن ثم ابناء جنسه الإنساني من اجل الحفاظ على الحياة والبقاء.

وفي الوقت نفسه، فإن الحرب ظاهرة متغيرة ومتطورة من ناحية الميدان والخطط والأدوات والآثار بفعل التطور الإنساني وما انتجته من ثورات معلوماتية غيرت من معالم الجوانب الحياتية المختلفة، ولكن رغم هذا التغير فان دوافع الحرب قد تكون نفسها منذ انطلاقها الى اليوم فمنها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والايديولوجية إلا أن الحرب تظهر بصورة متقاربة تتركز على استخدام القوة بكل أنواعها لإرغام العدو وتحقيق المصالح المرجوة.

ورسمت نتائج الحروب وخاصة الكونية منها خريطة التوازنات الدولية وحددت ملامح القوى العظمى لكل حقبة زمنية بما يتناسب مع تغير معالم القوة من ميزات جغرافية الى هيمنة تسليحية الى سيادة معلوماتية.

مفهوم الحرب وأجيال الحروب:

الحرب في ابسط مفاهيمها هي صراع بين طرفين يحاول كل منهما إخضاع الطرف الأخر لإرادته بالقوة المتاحة.

ولكن المختصين تباينوا فيما بينهم حول تعريف موحد لمفهوم الحرب وكل حسب رؤيته وتجربته، الا ان القاموس العسكري عرف الحرب بأنها: فن استخدام موارد القوة العسكرية في نزاع مسلح بين دولتين أو اكثر من الكيانات غير المنسجمة، الهدف منها إعادة تنظيم الجغرافيا السياسية للحصول على نتائج ورغبات.

فيما ذهب أوبنهايم إلى أن الحرب: نزاع مسلح بين دولتين أو اكثر بقصد الغلبة وفرض شروط السلام تكون وفق رؤية المنتصر، والحرب حقيقة يعترف بوجودها القانون وان كان لا يقرها.

فيما يرى الخبير العسكري الالماني (من إقليم بروسيا) كارل فون كلاوزفيتز بأن الحرب: استمرار للسياسة ولكن بطريقة أخرى والنجاح يعتمد فيها على التنظيم والانضباط واستعمال الاستراتيجيات المتفوقة التي ابتكرتها عسكرية واسعة الخبرة.

وبعد فترة زمنية طويلة يأتي المفكر الفرنسي ميشيل فوكو ليعكس تعريف (كلاوزفير) ويقول ان السياسة هي امتداد للحرب بوسائل اخرى بفعل التطور الذي طال الحروب في اساليبها وخططها وأدواتها، وهذا ما نراه بوضوح ونحن نستعرض اجيال الحروب.

أجيال الحروب:

دأب المختصون بالعلوم الحربية على تصنيف الحروب الى أجيال بحسب الخطط والأفكار والتقنيات المستخدمة في هذه الحروب، ولكنهم اعتمدوا عام 1648 كبداية للجيل الاول من الحرب كون هذا العام شهد توقيع معاهدة ويستفاليا التي اسست الى ظهور الدولة القومية الحديثة التي اشكلت مشروعية ممارسة القوة كفاعل دولي.

ويرى توماس هامز ان محركات التغيير تكمن في تطور البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لعبت دورا هاما في احداث تلك التفاعلات بين الاجيال.

أ – الجيل الاول:

وهي الحروب التقليدية التي تدور بين جيشين محتشدين بهيئة صفوف متراصة ومتقابلة بشكل تصادمي في ميدان واحد وبدون حواجز طبيعية وتتم المعركة في نفس الميدان.

كما تميزت حروب الجيل الاول بالضبط العسكري الصارم وتنفيذ الاوامر مع توحيد الزي العسكري للمقاتلين تمييزا عن المدنيين، (اتسمت حروب هذا الجيل بالطبع الصارم والزي والسلوك العسكري الواضح والطاعة مقدمة فيها على المبادأة).

ب- الجيل الثاني:

التطور التكنولوجي في الميدان الصناعي والعسكري أطر ملامح وسمات الجيل الثاني للحروب التي بدأت مع انطلاق الحروب النابليونية في اوربا وانتهت بانتهاء الحرب العالمية الثانية، (ان التطور الذي حصل في تقنيات استخدام النيران ووسائل قذفها وأدواتها من دبابات وطيران جعل لها خصوصية اكثر دقة من ناحية القدرة على احداث اكبر قدر من الخسائر).

وهذا التطور التقني فرض نمطا جديدا تمثل في الاعداد والسبق والتنسيق العالي بين مختلف الوحدات القتالية المشتركة في الحرب.

كما ان حروب هذا الجيل ابرزت عقائد عسكرية جديدة تمثلت بأسلوب المباغتة والمفاجأة بالقتال وحولت هدف الحرب من الحسم العسكري في ارض المعركة الى استنزاف العدو وتعطيل قدراته من خلال المناورة والالتفاف بدل المواجهة المباشرة.

وتلخصت العقيدة القتالية الجديدة بمبدأ: ان المدفعية تقهر والمشاة تحتل في ظل التنسيق بين نيران المدفعية وتمركز المدرعات وقوات المشاة في ارض المعركة.

ج - الجيل الثالث:

شكلت نهاية الحرب العالمية الاولى وتجاربها بداية الجيل الثالث من الحروب التي طورت من قبل الجيوش الالمانية كوسيلة لردم فجوة عدم التكافؤ بالإمكانيات ين الجيوش واعتمدت اسلوب التسلل والالتفاف خلف خطوط العدو وبغية اضعاف قدرته وتحقيق عنصر المفاجئة وتحول جوهر العمل العسكري الى التركيز على الوضع القتالي وحالة العدو والنتائج المرجوة وليست على الاجراءات المحققة وبالتالي انتهت فكرة الحرب كسباق دفع بين طرفين.

كما ان حروب الجيل الثالث خففت من قيود الضبط العسكري والقيادة الصارمة التي شهدتها حروب الجيلين السابقين ومنحت فرصة للمقاتلين بالمبادرة واتخاذ القرارات الفورية وشجعت روح المبادرة وليس الطاعة وحدها، لذا كانت آلية اتخاذ القرار تتسم باللامركزية، كما ان تطور نظم الاتصالات وظهور الاسلحة الحديثة والطائرات المقاتلة فرض افكار وتكتيكات عسكرية جديدة ومختلفة.

د- حروب الجيل الرابع:

احدثت حروب الجيل الرابع نقلة نوعية في اجيال الحروب من ناحية الميدان والأساليب والخطط رغم بقاء نفس الهدف، وكان عام 1954 يمثل بداية حروب هذا الجيل بالتزامن مع حرب التحرير الجزائرية وحرب الفيتناميين ضد الاحتلال الفرنسي لبلادهما.

جوهر حروب الجيل الرابع هو تفادي المواجهة المباشرة مع الخصم عندما يكون الطرفان غير متكافئين في الامكانيات والقدرات، وهي من نتاج العقلية العسكرية الامريكية لذا وصفت من قبل بعض الخبراء العسكريين بأنها طريقة لخوض حروب يستخدم فيها الطرفان بصورة ملحوظة تكتيكات وأسلحة مختلفة، بسبب خلل واضح في توازن القوى بين طرفين متحاربين تجعلهم لا يستخدمون طرقا متشابه دائما.

لا تسعى حروب الجيل الرابع الى تحقيق النصر في المواجهة العسكرية بل تعمل على انهاك قوة الدولة المعادية وإضعاف ارادتها وتدمير وضعها النفسي لإجبارها على تنفيذ ما تريد، كما ان ساحة ميدان الحرب في الجيل الرابع توسعت لتشمل حتى المناطق المدنية وقد يستهدف من خلالها حتى المدنيين نتيجة التداخل بين ما هو عسكري وبين ما هو مدني، ويلعب الاعلام دورا في كسب هذه الحروب من خلال استهداف الشعوب والتأثير على نفسيتهم وكسر الارادة ومن ثم زعزعة الثقة بالحكومة لتكوين الهزيمة الشعبية مقدمة لهزيمة الحكومة وجيوشها (تعتمد حروب الجيل الرابع على التأثيرات النفسية والمعنوية للشعوب للتشكيك بالنظام السياسي وإضعاف ثقة الشعوب على قدرة النظام في تحقيق اهدافه مستخدمة بتلك الوسائل التكنولوجية والإعلامية).

كما ان من سمات حروب الجيل الرابع انها حروب سائبة النهاية وتفتقد الى مخارج نهاية الحروب لذا تكون طويلة الامد.

كما اتسمت حروب هذا الجيل باختلاط الفعل السياسي والإعلامي والاجتماعي مع الفعل العسكري في ميدان المعركة المفتوحة مساحته على كامل جغرافية البلد.

1- مفهوم ودوافع حروب الجيل الخامس

مفهوم حروب الجيل الخامس:

احدثت حروب الجيل الخامس نقلة نوعية في اجيال الحروب اكثر منها مرحلة متطورة عن اجيال الحروب السابقة، فهي صراع توظف فيه كل المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعلوماتية باستخدام التكتيكات التقليدية وغير التقليدية بمشاركة الفاعلين من الدول ومن غير الدول تهدف الى اخضاع الخصم مع تجنب المسؤولية المباشرة للصراع، لذا عرفها توماس بارتث بأنها القدرة على تعطيل كل دفاعات العدو بحرب شاملة نفسية وثقافية واقتصادية ومالية وبيئية وبايلوجية وفايروسية يقودها الاعلام ووسائل الاتصال بصفة اساسية.

ويذهب البعض إلى ان فلسفة حروب الجيل الخامس مستمدة من النظرية الاقتصادية (التدمير والبناء) التي طرحها عالم الاقتصاد والسياسة الامريكي جوزف شومبيتر التي تبنتها فيما بعد وزيرة الخارجية الامريكية كوندليزا رايس بعنوان الفوضى الخلاقة عام 2005 لتطبيق مشروع الشرق الاوسط الجديد.

لكن عام 2013 شهد بلورة الصياغات الفعلية لحروب الجيل الخامس على يد مجاميع من المفكرين العسكريين والمهتمين بالأمن القومي ودبلوماسيين وضباط مخابرات وخبراء انترنت وتواصل اجتماعي اضافة الى علماء النفس وعلماء الاجتماع على اثر احداث الحادي عشر من أيلول 2001، مستندة على ضرورة إدخال تغييرات عن الصورة المألوفة للحروب باعتماد تكنولوجيا المعلومات في اطار سمي (المعهد التعليمي لحروب الجيل الخامس.(

لذا وصفه الكاتب الامريكي جون روب في مؤلفه عن حروب الجيل الخامس: أنها حرب أفكار، انها تطلق دوامة من العنف وتزداد بأسلوب التدمير الفجائي لقوى الخصم معنويا ونفسيا بإطلاق عملية من شأنها إشاعة الاحباط لدى الخصم، وأن ميدانها الفضاء الالكتروني).

-دوافع وملامح حروب الجيل الخامس:

لن تختلف دوافع حروب الجيل الخامس عن دوافع اجيال الحروب التي سبقتها حيث ترجع الى الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تهدف الى السيطرة والهيمنة وتحقيق الاهداف وإجبار الخصوم على الرضوخ.

لكن ملامح وسمات حروب الجيل الخامس اختلفت كليا عن الحروب السابقة بظهور عوامل جديدة منها تراجع احتكار الدولة لاستخدام القوة وبروز فواعل من غير الدول امتلكت القدرة على الدخول في الصراعات، ومنها ضعف الولاء الوطني قبالة صعود ولاءات فرعية بديلة طغت على الولاء للدولة، وكذلك تسارع وتيرة التطور التقني وخاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي وأنظمة التسليح الحديثة وسهولة امتلاكها من غير الدول (ان دور مؤسسات الدولة التي

كانت تتحكم في مفاصل الحكم سابقا قد انحسر بشكل ملحوظ ربما الى درجة فقدانه بعضا من سلطاتها ... كما ان التحولات في الجبهة العسكرية جذرية فالراديونات، والذكاء الصناعي يؤمنان الاسس والأدوات لتحويل الحروب التي كنا نعرفها الى صفحة مطوية من التاريخ).

ومن ابرز سمات حروب الجيل الخامس:

أ – انتشار المناطق الرمادية (تلاشي الحدود

وتعني اتباع تكتيكات متنوعة تسعى الى تحق اهداف الحرب ولكن من دون قتال وتعتمد التداخل بين الصراع والسلام والعسكري والمدني والداخلي والخارجي (التفاعلات بين دواخل الفواعل من الدول وغير الدول والتي تقع في منطقة وسط بين ثنائية الحرب والسلام، وتتسم بوجود غموض حول طبيعة الصراع والأطراف المنخرطة فيه, فضلا عن عدم التعيين حيال السياسة التي يجب اتباعها).

وتتجلى هذه التكتيكات بدءا من الهدف الذي تحول من تحقيق نصر عسكري حاسم في ميدان المعركة الى هزيمة الخصم تدريجيا وداخليا خلال مدة زمنية مفتوحة غير محددة.

توسيع ساحة المعركة وتلاشي الفواصل والحدود ما يعد ارض معركة وما لا يعد، حيث اصبح ميدان القتال متاح للمراكز البحثية ووسائل الاعلام والمؤسسات الاقتصادية والمجمعات العلمية والمراكز الدينية وحتى الفضاء الالكتروني واصبح الجميع فاعل ومؤثر في ميدان القتال المفتوح على مصراعيه.

اختفاء الفواصل بين ما هو سلاح قاتل فعلي وبين ما لا يعد سلاحا لكنه يمارس في التاثير وتحقيق الهدف، أي بما ان ميدان القتال توسع بشكل كبير فاخذ باستيعاب اسلحة جديدة مثل الاعلام وصفحات التواصل الاجتماعي التي تعمل على التحشيد والتعبئة وزرع الافكار وتغير الاتجاهات التي تساهم في اضعاف الجبهة الداخلية للخصم وتضعف قدراته كمقدمة للانهيار.

تراجع الفروقات بين ما هو مدني وعسكري، فصار بالإمكان تطويع التطبيقات المدنية في شن الهجمات العسكرية، كما يمكن توظيف الانترنت في شن الهجمات المعلوماتية، وفي استخدام الطائرات المدنية في عمليات قتالية كما حدث في هجمات 11 أيلول 2001 في الولايات المتحدة الامريكية.

كما ان اعتماد المناطق الرمادية في القتال تحقق انعدام المسؤولية القانونية عن الفاعل الخفي وتساعد على خفض تكلفة الحروب مع تزايد الاعتماد المتبادل الاقتصادي الاجتماعي بين الدول.

ويمكن اعتماد تجربة الارهاب (تنظيم القاعدة وداعش) صورة ونموذج لانتشار المناطق الرمادية في نشاطها داخل العراق، فتوسعت ساحة المعركة لتشمل الاسواق والمدارس والمنفذون من المدنيين المنظمين لهذه الفصائل واستعانوا بالانترنت لتجنيد العناصر وتدريبهم وبنفس الوقت التأثير النفسي على الخصوم ونشر مقاطع عملياتهم الاجرامية

لزيادة مساحة الرعب والخوف عند الناس، كما تم توظيف المنتجات ذات الاستخدام المشترك مثل الاسمدة الزراعية كأحد اسلحة القتل.

ب- تشكيل التحالفات الواسعة:

اعتمدت حروب الجيل الخامس على تشكيل قاعدة عريضة من التحالفات اضافة الى الدول تساهم بشكل وآخر في احداث هذه الحروب منها كيانات عابرة للحدود، جماعات اثنية او قومية، فصائل المتمردين، جماعات قبلية، مؤسسات اعلامية، وناشطين احيانا وحتى بعض الخارجين عن القانون.

ان اتساع ميدان المعركة ادى الى تراجع دور القوات المسلحة التقليدية وإفساح المجال الى هذه الجماعات ولكن بدعم مباشر او غير مباشر من المؤسسة العسكرية التقليدية وبصورة غير معلقة (تنتهج الدولة سياسة توازن خارجي بمعنى التحالف مع فاعلين دوليين آخرين ضد القوة المحددة بالإضافة الى الانخراط في علاقات تعاونية او تكاملية مع جيوش غير متطورة من الفاعلين من دون الدول).

ج - اتباع الحروب الهجينة:

وتعرف بأنها (تلك الصراعات التي تتضمن الجمع بين استخدام القوات المسلحة التقليدية والقوات غير النظامية مستخدمة كل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية من اجل تحقيق هدف سياسي مشترك). وقد تكون الفواعل جماعات ارهابية او حركات تمرد او فصائل مسلحة قائمة على التغيرات والتناقضات المجتمعية توظف من قبل القوة العسكرية والاقتصادية والمعلوماتية لإحداث التخريب السياسي لتحقيق نصر عسكري، ويمكن اعتماد ثورات الربيع العربي كنموذج من تكتيكات الحرب الهجينة.

كما يمكن اعتبار تنظيم داعش الارهابي كنموذج واضح حيث اثبتت الوقائع ان افراده تلقو تدريبات ودعم من جيوش تقليدية مجهولة عمل على احداث انهيار لقوات الدولة التقليدية وسقوط مدن بيد التنظيم مع توفر امكانيات عسكرية متطورة تؤكد هذا الدعم بالرغم من مجهوليته وكنه ساهم بشكل آخر في عودة وجود قوات التحالف الدولي الى العراق بطلب من الحكومة لتقديم الدعم والإسناد لإيقاف المد الداعشي.

د- غياب الطابع المؤسسي:

في اجيال الحرب السابقة كان الصراع يجمع بين كيانات تتمتع بهياكل مؤسسية لها مركز ثقل واضح وقيادات معروفة وتسلسل هرمي للقيادة اضافة الى وجود مبررات قانونية وأخلاقية لخوض الحروب ولكن وفق معايير دولية لا يمكن تجاوزها.

وهذا ما افتقدته حروب الجيل الخامس بشكل واضح حيث ان الكيانات المتصارعة كيانات شبكية بدون هيكلية ثابتة مع غياب او اخفاء القيادة المركزية، كما انها تعمل بصورة لا مركزية اقرب الى حرب العصابات، كما انها

تستهدف الخصم من كافة مؤسساته المدنية والعسكرية مخالفة الاعراف والقوانين الدولية الخاصة بالحروب ونطاق تأثيرها.

كما ان هذه التنظيمات لا تملك مركز ثقل يمكن استهدافه لأنهم (لا يمثلون قوة عسكرية منتظمة، بل

يرتكزون حول فكرة او معتقد، وهجومهم عدميا غير عقلاني، ويصيغون حروبا داخلية سياسية او اقتصادية واجتماعية من داخل الدولة المستهدفة واستنزافها بالصراعات الداخلية وعدم مواجهة التهديدات الخارجية).

مجالات وأشكال حروب الجيل الخامس

من اهم سمات حروب الجيل الخامس هي تجاوزها آخر مجالات الصراع في الحروب السابقة فلم يعد البر والبحر والجو والفضاء يستوعب حروب الجيل الخامس التي اصبحت حرب بلا قيود أو مجموعة من الحروب تشن في الوقت ذاته على الدولة المستهدفة، ومن هذه المجالات:

اولا: الحرب الاقتصادية

وإن كان الدافع الاقتصادي ملازما لانطلاق اول الحروب ومجالا من مجالات الصراع في حروب الاجيال السابقة، الا انه في حروب الجيل الخامس شغل حيزا اكبر وتعددت آلياته.

وكان العامل الاقتصادي بارزا في الحربين العالميتين الاولى والثانية، كما ان الصراع على مصادر الطاقة ومصادر المياه والهيمنة على الاسواق الدولية من ملامح اغلب الحروب وحتى الثنائية، وندرج ادناه بعض اوجه الصراع الاقتصادي في حروب الجيل الخامس.

أ- المقاطعة الاقتصادية

ويقصد بها المقاطعة الكاملة لسلع احدى الدول وعدم الاستيراد منها والتصدير اليها على الاطلاق ومن اهمها مقاطعة السلع الغذائية، ومن نماذج السابقة توجيه المهاتما غاندي الشعب الهندي بمقاطعة البضائع البريطانية، وفي الوقت الحاضر المقاطعة المفروضة على النفط الايراني.

ب- الحصار الاقتصادي والعسكري:

وهو نطاق اوسع من المقاطعة ويتمثل بفرض جوي وبحري ويسري على الدولة المستهدفة، وهو اكثر الاسلحة الاقتصادية فتكا وتأثيرا لما يترتب عليه من نتائج اقتصادية واجتماعية وصحية تنال الشعوب والحكومات معا، ومن ابرز نماذجه هو الحصار الذي فرض على العراق بعد اجتياح الكويت بقرار رقم 661 الصادر من الامم المتحدة عام 1990 والذي استمر لمدة 13 عام والذي انتج انهيارا اقتصاديا للدولة العراقية وعملتها وتراجع كبير في مستوى

الخدمات الصحية والتعليمية وكارثة انسانية بسبب نقص الغذاء والدواء وتعطيل البنى التحتية، ظلت آثاره حتى بعد تغيير النظام السياسي في العراق عام 2003م.

ج - اغراق واختراق واحتكار الاسواق

استهداف السوق المحلي للدولة من الخارج احد وجوه الحرب الاقتصادية من حروب الجيل الخامس وتعمل على ضرب الانتاج الداخلي وإضعافه؛ لإغلاق قطاعات العمل وتعطيل الانتاج مما يرهق ميزانية الدولة بالاستيراد ويرفع معدل البطالة في المجتمع الذي يؤدي بدوره إلى اختلالات اجتماعية كبيرة تولد ازمات جديدة مثل الجرائم والسرقات.

د- خلق الازمات الاقتصادية

وجه من وجوه الحرب الاقتصادية ويظهر باشكال متعددة منها افتعال ازمات اقتصادية بين الدول المتجاورة او اغراق الدولة بالديون والقروض خاصة الخارجية وبسبب عجز الدولة عن تسديد الديون وتضخم الفوائد على القروض مما يجبر الحكومة على ايقاف برامج التنمية وتهديد الاستقرار الداخلي او رهن القرار السياسي للدولة الى الجهة المدنية (اذ سرعان ما سوف تتلاحق الانذارات ثم تتبعها المقاطعة الاقتصادية التي قد تصل الى درجة منع هذه الدولة من استخدام العملات العالمية ثم التحريض ثم تعريض مصالحها الاقليمية للخطر).

ويمكن ان تكون القروض من قبل مؤسسات مالية عالمية تدار بصورة غير مباشرة من الدول الكبرى تمنح القروض مع فرض خطط اقتصادية على الدولة المستهدفة مثل رفع الدعم عن السلع والخدمات الاساسية بما يمهد لمزيد من الاختلالات في المجتمع.

والعراق تعرض الى هذه الحرب الاقتصادية بأشكال متعددة، مثل ما ترتب على ازمة دخول داعش الى المحافظات العراقية وتسلل عناصر التنظيم الى العراق، والتي جعلت الدولة تخصص اغلب ميزانيتها لخدمة المجهود الحربي وتوقفت اغلب المشاريع الخدمية ومشاريع البنى التحتية.

هـ- خطط ضمان التبعية الاقتصادية

يتفق المختصون ان الفاعل الاقتصادي هو المحرك الاساسي لأغلب الصراعات السياسية واستخدام العامل الاقتصادي بكل اساليبه للهجمة على القرار السياسي ومنها ربط الدول المستهدفة بالمحاور الاقتصادية العالمية (ان الصراع بين الدول الكبرى يسعى لفتح اسواق خارجية والمحافظة عليها وتشكيل احلاف اقتصادية للوصول الى التكامل الاقتصادي في مواجهة الدول الاخرى).

والعراق اليوم واقع تحت تأثير صراع محورين اقتصاديين متنافسين تحركهما ايدولوجيات متباينة اولهما مشروع (الشام الجديد) الذي اعلن عنه رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي بعد زيارته لواشنطن عام 2020 لتشمل

العراق والأردن ومصر بأهداف اقتصادية وسياسية مشتركة ترعاه الولايات المتحدة، ومشروع (الحزام والطريق) الذي تقوده الصين ليكون العراق نقطة ربط رئيسية في طريق الحرير الجديد وممرا لعبور المنتجات الصينية من خلال موانئ العراق وطرقه البرية الى اوربا.

و- صناعة الجوع

غذاء وقوت الشعب اصبح احد اوجه حروب الجيل الخامس وجعلها وسيلة لحث الشعب على الضغط على الحكومة لتستغل الدول الكبرى لاخضاع الدولة المستهدفة الى رغبات الارادة الخارجية، وإن استهداف الزراعة والصناعة وتعطيلهما عن دورهما في بناء الاقتصاد الوطني ومن ثم ازدياد حالة البطالة واللجوء الى المساعدات الانسانية من الشركات المتعددة الجنسيات التي تظهر كمنفذ لازمة الشعب وقد شهد العراق عمليات متعددة لاحراق مزارع المحاصيل الاستراتيجية عند موسم الحصاد وغيرها.

ثانيا: حرب العملات

ظهر هذا المصطلح لأول مرة خلال عام 2008 في كتاب (حرب العملات) للباحث الامريكي من اصل صيني ستوغ هونغ بينغ ليعني (اعتماد دولة ما على قوتها الاقتصادية لتقليص قوة تنافسية الدول وتقليص حجم ثرواتها عن طريق استخدام السياسة النقدية والتدخل في اسواق تبادل المعلومات بهدف تحقيق افضلية على باقي الدول).

وأصبح استخدام السياسة النقدية عبر التدخل في اسعار الصرف وتبادل العملات احد اوجه الحرب الاقتصادية الناعمة بهدف تقليص القوة التنافسية للدول المستهدفة، (ان حرب العملات في اطار حروب الجيل الخامس تسعى الى خفض ميزة تنافسية للعملة مقابل نظيراتها الاخرى من خلال تقليل اسعار الصرف).

ثالثا: حرب المياه

ارتبط نشوء الحضارات جغرافيا على ضفاف الانهار، واليوم اصبحت عاملا هاما في تشكيل السياسة الدولية وحياة الشعوب، فتحولت المياه من مصدر للعيش والحياة الى مفتاح السيادة والنفوذ وباب للحروب المستقبلية.

وقد اشارت ورقة تقييم المخاطر التي اعدتها وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية الى أنه (توجد على الاقل عشرة مواقع في العالم، يمكن ان تنفجر فيها الحرب، بسبب تناقض مصادر المياه المشت بين دولها ويمكن ان تقع معظم هذه الازمات المحتملة في الشرق الاوسط).

وتشير التقارير ان أزمة المياه ستتفاقم في عام 2040 بشكل كبير، وأن العجز في توفير مياه الشرب الكافية سيؤدي الى حالة خطيرة من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في الشرق الاوسط، والعراق يعاني اليوم من حرب المياه بصورة واضحة إذ يعاني شحة مياه الري الواردة اليه من دول المنبع عبر نهري دجلة والفرات اللذان ينبعان من تركيا التي تقوم بانشاء العديد من المشاريع لخزن المياه والسدود في اراضيها دون مراعاة الحاجة الانسانية للمياه في العراق

(انخفض منسوب نهر الفرات عند الحدود سورية بنسبة 65,5٪، كما ان ايران اقامت بعض المشاريع على منابع نهري ديالى والطيب والزاب الاسفل).ما اصبح مصدر تهديد للامن الغذائي مع انحسار المساحات المزروعة ليبقى العراق سوقا لتصريف المنتجات الزراعية لدول الجوار وحرمان العديد من فرص العمل ورهن حتى المواقف السياسية مقابل التهديد بزعزعة الامن الغذائي.

رابعا: الحرب البيولوجية

ويقصد بها: (الاستخدام المتعمد للسلالات المسببة للأمراض الكائنات الدقيقة كالجراثيم والفايروسات او سمومها لنشر امراض تهدد حياة البشر والحيوان والنبات بهدف قتل سكان منطقة معينة) ، وقد استخدمت الحرب البايلوجية كأحد وسائل حروب الجيل الخامس في العراق بقذف السلاح البايلوجي باستعمال رؤوس الذخائر الحربية او قنابل الطائرات او رؤوس الصواريخ في حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت) من قبل قوات التحالف، لذلك ثم تطعيم افراد قوات التحالف لوقايتهم من الاصابة ببكتريا الجمرة الخبيث بعد تهديد صدام حسين باستخدام السلاح البايلوجي ضد قوات التحالف.

كما ان التنظيمات الارهابية قامت باستعمال الاسلحة البايلوجية في عملياتها الارهابية ضد المدنيين العراقيين، حيث اشارت الحكومة العراقية ان خبراء فرنسيين فحصوا المادة الكيميائية التي عثروا عليها في المعمل التابع لتنظيم داعش وتوصلوا الى انه غاز الخردل وكان الموقع يستخدم لاجراء التجارب لانتاج الاسلحة الكيميائية عام 2017 في مدينة الموصل.

وقد اشار تقرير نشر على موقع قناة الجزيرة الالكتروني بتاريخ 2015/11/19 الى ان اليورانيوم المنضب الذي استعمل في العراق من قبل قوات التحالف الدولي في حرب تحرير الكويت وحرب احتلال العراق يساوي في ذريته ما يعادل 250 فتيلة ذرية، وان علماء البيئة استطاعوا قياس مستويات عالية من اليورانيوم في عينات من التربة من مناطق عدة في العراق ويرجع إليه السبب في زيادة نسبة الاصابة بمرض السرطان والتشوهات الخلقية في هذه المناطق.

خامسا: الحرب البيئية

اتسع مجال حروب الجيل الخامس لتشمل البيئة لتكون احد ادوات الصراع وصعوبة حمايتها من تأثيرات الحروب باعتبار أن الحرب تقوض مفهوم الامن الشامل بجميع ابعاده ومنها الامن البيئي، واستخدمت الدول الكبرى في سباقها على السيطرة على الموارد المالية الحروب البيئية لتعديل المناخ واستقرار المنظومات الزراعية والبيئية.

كما ان الحروب البيئية قد توظف لإحداث زلازل وفيضانات وأعاصير وعدد من الظواهر التي قد تبدو طبيعية ولكنها مصطنعة في حقيقتها.

سادسا : حرب المخدرات

انه نوع من الحروب لا تستخدم فيها اصواريخ والطائرات بل هي حرب تسميم العقول وتدمير الاجسام وسلاحها الحبوب والمواد المخدرة التي يروج لها مافيات وعصابات مجهولة تستهدف الشباب لتنقلهم الى عالم الضياع والموت.

المخدرات وباء لا يستهدف نفس الانسان فقط بل يعمل على افساد الجانب الاخلاقي للمجتمع ويضعف الارادة لتتحول الى خطر اجتماعي (ان اهم ما يحرص عليه الذين يشنون حروب الجيل الخامس ضد دولة ما ان تجعل عصابات المافيا تدمر الدولة المستهدفة بحرب المخدرات حتى يتم تدمير الدولة من داخلها)..

وقد انتجت هذه الحرب الخبيثة مئات المجرمين وعمليات الانتحار والجرائم المختلفة التي هددت الامن المجتمعي وحولت الشباب من عضو فاعل ومنتج الى فتيلة موقوتة تهدد ام المجتمع بالجرائم والضياع.

سابعا : الحماية العسكرية

تسعى الدول الكبرى الى اقامة قواعد عسكرية داخل الدول المستهدفة بحجة الحماية العسكرية من التهديدات الخارجية او الارهابية.

ويستغل هذا الوجود العسكري مرة لفرض الارادة والقرار السياسي الخارجي على الدولة او السيطرة على الموارد والثروات والتحكم بها، او وسيلة لاستقطاب بعض المتعاونين لتقديم المعلومات الامنية او التأثير على افكار الناس لقبول هذا الوجود الاجنبي واستمرار وجوده.

أساليب مواجهة حروب الجيل الخامس

ان تعقيدات حروب الجيل الخامس وشموليتها وتعدد ميادينها خلق صعوبة كبيرة اساليب معالجتها ومقاومتها، فهي تحتاج الى توظيف تكتيكات عسكرية ومدنية وتقنية واقتصادية وثقافية تعمل بصورة متزامنة ولفترة طويلة للنجاح في الوقوف بوجه آليات حروب الجيل الخامس، ومن هذه الاساليب:

اولا: سياسات الحكم الرشيد

يعرف الحكم الرشيد بأنه (الحكم الذي يعزز ويدعم ويصون رفاه الانسان ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويسعى الى تمثيل كافة فئات الشعب تمثيلا كاملا، وتكون مسؤولة ادامته لضمان مصالح جميع افراد الشعب).

وبما ان حروب الجيل الخامس تستهدف بنية المجتمع الثقافية والاقتصادية وكافة مؤسساته وشرائحه (تعتمد هذه الحروب على التأثيرات النفسية والمعنوية للشعوب ونشر الشائعات من خلال التشكيك بالنظام السياسي وإضعاف ثقة الشعوب على قدرة النظام على تحقيق اهدافه مستخدمة في ذلك الوسائل التكنولوجية والإعلامية) ، وسبيل

مواجهتها يتمثل بالعمل على تحصين المجتمع من المخاطر عن طريق كسب ولائه وزيادة ثقته بالدولة ليكون سندا لأجهزتها ومساعدا لنقل المعلومات الامنية ورصدها ونقلها اذا كانت تستهدف كيان الدولة وتتطلب هذه الثقة المتبادلة تطبيق الدولة لسياسات الحكم الرشيد الذي يركز على سعة مشاركة المواطنين في العملية السياسية وتشريع القوانين على تحسين الوضع الاقتصادي للمواطن، وتأمين الحماية اللازمة واعطاء المواطنين دورا رقابيا لمحاربة الفساد وانتشاره، ولابد من توفير فرص العمل لقطاع الشباب باعتبارهم الشريحة الاكثر تطلعا لبناء المستقبل والاكثر انفتاحا على الثقافات الاخرى والاشد تاثرا بها وكان على الدولة لزاما استيعابهم في مشاريعها المتنوعة.

ويعاني العراقيون من غياب واضح لسياسات الحكم الرشيد من قبل الحكومات المتعاقبة تمظهر في عدة مظاهر منها انخفاض نسبة المشاركة في العملية الانتخابية، مما يدلل على اتساع ازمة الثقة بين الجماهير وصناع القرار، وكذلك عدم وجود محاسبة حقيقية لحالات الفساد المنتشرة من مؤسسات الدولة، وعدم قدرة الحكومة على استيعاب الشباب وتوفير فرص العمل الملائمة الذي كان من اهم دوافع الحركات الاحتجاجية التي ساهمت في عدم الاستقرار السياسي وهنا نحتاج الى تغير جذري للوصول الى الحكم الرشيد.

ثانيا: الاستثمار في تكنولوجيا المراقبة والرصد

يتفق المختصون على ان تكنولوجيا المعلومات من اهم اسلحة حروب الجيل الخامس فمن خلال هذه التقنيات اخترقت سيادة الدول وامكن سهولة التواصل مع الشعوب والتلاعب بعقولهم والتأثير في مدركاتهم وللحد من تأثير هذه الوسائل التقنية لابد للدول المستهدفة ان تنشئ الاجهزة والمؤسسات المختصة والمؤهلة لرصد ومراقبة هكذا مشاريع وتهديدات لها اثر على مجتمع الدولة المستهدفة (ان تطور الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي جعل امكانية تحديد هوية الاطراف الفاعلة في هذه الحروب غير واضح في كل الحالات، خاصة مع لجوء الدول الى توظيف مجموعات تنشط على التواصل الاجتماعي للدولة المستهدفة تسعى لرصد الجدل الدائر في القضايا التي تزيد انقسام المجتمع).

ومن اول خطوات مواجهة حروب الجيل الخامس المعلوماتية هو تأسيس شركة اتصالات وطنية تتحكم فيها الحكومة وتشرف عليها مؤسسة امنية وعسكرية وثقافية وقانونية تعمل على تقنية التواصل الاجتماعي من عمليات التجسس والتخابر مع الدول المعادية ورصد ومراقبة المواضيع المطروحة ومعرفة مصادر الصفحات المشبوهة وذات الاغراض المخالفة لتوجهات الدولة، ومن ثم نشر المعلومات والافكار التي تفشل مخططات الخصوم (على الدولة المستهدفة امتلاك القدرة على امتصاص واستيعاب الهجمات بفاعلية من خلال تطوير نظم الانذار المبكر والقيادة والتحكم والاتصالات والحوسبة، والاستخبارات والمراقبة، والاستطلاع المبكر لاي هجوم وكذلك تعزيز البنية التحتية).

رابعا: استراتيجيات مواجهة نشر المعلومات والاخبار الكاذبة

لما كانت حروب الجيل الخامس تستهدف احتلال العقول والتلاعب بمدركاتها وقناعاتها من اجل دفع الناس للسخط على النظام السياسي والغضب على الاوضاع العامة، وتدفع باتجاه التشكيك في شرعيتها فكان نشر الاشاعات والإخبار الكاذبة والفيديوهات المفتعلة من اهم وسائلها في تحقيق عدم الاستقرار ولمعالجة هذا الاسلوب يتطلب من الدولة المستهدفة اصدار التشريعات والأنظمة والقوانين التي تحد من انتشار الاخبار الكاذبة ومحاسبة الجهات والأشخاص التي تعمل على فبركة هكذا مواضيع تخل بالأمن المجتمعي (ان الاخبار الكاذبة لم تعد مصدر ازعاج للناس فحسب بل اصبحت خطرا يفض مضاجع الحكومات والدول بعدما ثبت انها سلاحا تستخدمه بعض اجهزة الاستخبارات للتضليل والتأثير على الرأي العام او تصدير القلاقل وزعزعة الامن).

كما ان الشفافية في تبادل المعلومات ونقل الاخبار بين الحكومة والمواطن يولد ثقة متبادلة تساهم في عدم مقبولية الاخبار الكاذبة ذاتيا وعدم تداولها بل قد يكون المواطن نفسه مفندا ومكذبا لمثل هذه المعلومات المغلوطة، كما ان وعي المواطن واطلاعه على مسار عمل الحكومات ومشاركته في صنع القرار يقف سدا بوجه انتشار الاخبار الكاذبة.

خامسا: تعزيز الدفاعات الامنية للدولة

استخدمت في حروب الجيل الخامس وبشكل مؤثر التطبيقات التكنولوجية، والفضاء السيبراني، والأسلحة الحديثة مثل طائرات الدرونز ومن مميزات هذه التقنيات سهولة توضيفها وامتلاكها سواء من الدول او الفاعلين من غير الدول وكذلك من مميزاتها هو مجهولية هوية الفاعل والمنفذ وهذا يتطلب التعامل معها بمنظومات امنية وهياكل دفاعية جديدة تتناسب مع نوع التهديد.

كما ان تأمين مؤسسات الدولة من الهجمات السيبرانية يتطلب انشاء مؤسسات ذات مواصفات وقدرات خاصة للحد من التهديد المحتمل عبر الدفاع عن الشبكات الالكترونية وتحصينها او تكوين منظومة الردع السيبراني، ومنع الاستثمارات الاجنبية في البنية التحتية للاتصالات (ان ممارسة التغيير للمجال العام السيبراني باتت مرهونة بالعديد من العوامل منها موارد الدولة ومدى تقدمها التكنولوجي، وبالرغم من ذلك فان الدول استخدمت المجال السيبراني في صراعاتها السياسية).

سادسا: مواجهة الفواعل غير المسلحة من الدول

منذ عقود برزت في الساحة الدولية فواعل جديدة من غير الدول رغم اختلافها في النهج والفكر والأسلوب الا انها اصبحت جزء من واقع العلاقات الدولية وتلعب دورا في الصراعات الدولية وقد عرفتها "مبادرة جنيف" بأنها جماعات منظمة ذات بنية اساسية للقيادة تعمل خارج سيطرة الدولة وتستخدم القوة لتحقيق اهدافها).

ولمواجهة هذه الفواعل وتأثيرها على استقرار الدولة لابد من دراسة دوافع وأسباب نشوء هذه الفواعل وإيجاد السبل لمعالجتها وإيجاد التشريعات والآليات التي تعزز انسجامها مع مكونات المجتمع واندماجها مع كيان الدولة سواء كانت

الحلول سياسية او اقتصادية او ثقافية لتجنب استغلالها من اطراف خارجية من الدول لإيجاد حالة من التفتيت المجتمعي والانقسام المكوناتي الذي يعد احد وسائل حروب الجيل الخامس.

تسليح وسائل التواصل الاجتماعي في إطار حرب المعلومات

أدت حالة عدم اليقين الجيوسياسي والاستقطاب العالمي الحاد إلى إعادة التاريخ لمرحلة النزاعات والصراعات، لكنها تختلف عن صراعات القوى العظمى في القرن التاسع عشر، فقد أتاحت الثورات المتسارعة في التكنولوجيا الرقمية والمعلوماتية فرصة لتعزيز قوة الدول على شن الحروب بطرق غير مسبوقة .ورغم التقدم الهائل في القدرات العسكرية التي استفادت أيضاً من هذه الثورات، بيد أن السلاح الأبرز أضحى متمثلاً بالأساس في توظيف القدرات المعلوماتية لخدمة مصالح الدول المختلفة.

تعد وسائل التواصل الاجتماعي أحد أهم هذه الأدوات، وربما أكثرها فاعلية، في ظل اعتماد أغلب المجتمعات على هذه الوسائل، ما جعل الدول المختلفة قادرة بدرجة كبيرة على تشكيل تصور المواطنين للواقع من دون أي قيود.

بالتالي، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تشكل أداة قوية للأفراد والحكومات وغيرها من الفواعل من غير الدول، حيث يتم استخدامها في نشر الدعاية والتلاعب بالرأي العام والتأثير على الانتخابات، وذلك بسبب قدرتها على الوصول إلى جمهور واسع للغاية في كافة أنحاء العالم، بسهولة وسرعة فائقة .وفي هذا الإطار، بدأت الفواعل المختلفة في استخدام تكتيكات متطورة لتوظيف هذه الوسائل لتحقيق أهدافها، بينما عمدت بعض الدول إلى تطوير تقنيات مضادة لمكافحة هذه التكتيكات وضمان الاستخدام المسؤول لوسائل التواصل الاجتماعي .ما أدى إلى طرح مفهوم «تسليح وسائل التواصل الاجتماعي» في إطار حرب المعلومات بين الدول والفواعل المختلفة .ما أثار تساؤلات عدة بشأن ماهية هذه الحرب، وكيفية تطور استخدامها من خلال الخصوم والأطراف المتنافسة، ومن ثم انعكاساتها على مسارات الحروب الحديثة والمستقبلية.

ماهية مفهوم تسليح وسائل التواصل الاجتماعي

بينما أُطلق على حرب الخليج عام 1991 اسم «حرب الإنترنت الأولى»، وكذا حرب يوغوسلافيا في نهاية التسعينات اسم «حرب الويب الأولى»، جاء غزو العراق عام 2003 ليتضمن صراحةً «عمليات المعلومات» كمكون رئيسي في القوة القتالية في عصر المعلومات .لكن يبدو أن وسائل التواصل الاجتماعي سيكون لها دور محوري في الحروب الحديثة . ويستند هذا الطرح إلى فرضية رئيسية مفادها أن المعلومات تشكل مورداً حيوياً في وقت الحرب، وأن تحقيق الهيمنة على الخطوط الأمامية عبر الإنترنت يمثل الأهمية ذاتها للسيطرة على المناطق والخطوط الأمامية الفعلية في ساحات المعارك . فحروب المعلومات أضحت جزءاً حقيقياً من الحروب الفعلية.

ويشير مفهوم «تسليح وسائل التواصل الاجتماعي» إلى استخدام منصات التواصل الاجتماعي، على غرار Facebook وInstagram وWhatsApp وTelegram وYoutube وX، بغية نشر الدعاية والمعلومات المضللة والأخبار المزيفة والتلاعب بالرأي العام والتأثير على النتائج السياسية .وتعمد عملية تسليح وسائل التواصل الاجتماعي على استخدام تكتيكات مختلفة لتوظيف هذه الوسائل وتحقيق أهداف سياسية وأيديولوجية مختلفة، يمكن عرض أبرزها على النحو التالي:

• نشر المعلومات المغلوطة والأخبار المزيفة: وتعد من أبرز أدوات تسليح وسائل التواصل الاجتماعي التي تعتمد عليها الأطراف المختلفة، لنشر نظريات المؤامرة والأخبار المزيفة عن الخصوم لاستهدافهم والتأثير السلبي عليهم.

• الدعاية: والتي تستهدف التأثير على الرأي العام لخدمة أجندة سياسية أو أيديواوجية، حيث يتم نشر الصور ومقاطع الفيديو المقنعة للتأثير على الأفراد، ناهيك عن الصور والنصوص الفكاهية التي يتم نشرها على نطاق واسع .كما يمكن أن تنطوي الدعاية على إنشاء حملات شعبية مزيفة للترويج لقضية معينة أو اتجاه معين.

• روبوتات وسائل التواصل الاجتماعي: وهي عبارة عن حسابات آلية يتم استخدامها من أجل تضخيم رسائل معينة أو نشر معلومات كاذبة بنطاق واسع وبشكل مكثف من خلال إغراق وسائل التواصل الاجتماعي بمعلومات مغلوطة .حيث يتم برمجة هذه الحسابات لبلورة انطباع عام بوجود دعم واسع لقضية معينة.

• التصيد الاحتيالي «التصيد بالرمح»: تشير عملية التصيد الاحتيالي) المعروفة أيضاً باسم التصيد بالرمح (إلى استهداف فرد أو مجموعة من الأفراد، من خلال إغراء الضحايا للقيام بعمل ما، يتضمن عادة النقر على رابط ضار أو فتح مرفق يحمل برامج ضارة، يمكن أن يؤدي إلى مواقع ويب مزيفة تطلب بيانات تسجيل الدخول أو تنزيل البرامج الضارة مباشرة على جهاز الضحية، وهو ما يتم استغلاله للوصول إلى شبكة أوسع أو سرقة معلومات حساسة، وغالباً ما يظل المهاجمون غير مكتشفين لفترات طويلة .وبينما كانت هذه الأداة تستخدم سابقاً لتنفيذ هجمات عبر البريد الإلكتروني، جاءت وسائل التواصل الاجتماعي لتشكل نقاطاً هجومية جديدة للهجمات الإلكترونية، لا سيما تلك المرتبطة بالدوافع السياسية .وتشكل وسائل التواصل الاجتماعي أدوات مناسبة للغاية لاستهدافها من خلال عمليات التصيد الرمحي، كونها تعد بيئات عالية الثقة.

• الهجمات الإلكترونية: والتي تتضمن العديد من الأدوات كاختراق حسابات الخصوم أو بعض المؤسسات الحيوية في الدول المنافسة، أو استخدام البرامج الضارة لاستهداف البنية التحتية الاستراتيجية أو سرقة المعلومات.

• تقنيات الذكاء الاصطناعي :باتت أدوات الذكاء الاصطناعي تمثل محدداً مهماً في تعزيز قدرات وسائل التواصل الاجماعي، من خلال إنشاء ونشر المحتويات المقنعة للغاية والتلاعب غير المسبوق بالخطابات السياسية والمعلومات المختلفة، بل وأصبح من الصعب اكتشاف هذه الدعاية الممنهجة ومواجهتها .وفي هذا الإطار ظهر مفهوم «التزييف العميق»، والذي يشير في قدرة الذكاء الاصطناعي إلى نشر مقاطع فيديوهات مزيفة للزعماء السياسيين، على سبيل

المثال، يظهر الزعيم السياسي وكأنه يلقي خطاباً غير حقيقي، وهو ما يخلق حالة من الارتباك وانعدام الثقة .كما باتت تقنيات الذكاء الاصطناعي تساعد الجهات المختلفة في التهرب من الاكتشاف.

• عمليات المعلومات) IO:(والتي تعتمد على حملات تضليل منسقة بغية تعطيل عملية صنع القرار لدى الخصوم ونزع الشرعية عنهم وتقويض التماسك الاجتماعي .ويتم ذلك من خلال جمع المعلومات الاستخباراتية عن أهداف محددة وتطوير روايات تحريضية ونشرها بشكل ممنهج.

• تضخيم خطاب الكراهية الرقمي: حيث تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي لتضخيم خطاب الكراهية ونشره في سياقات هشة، الأمر الذي يزيد من فرص تأثيرها، كما يمكن استخدامها لدفع الأطراف المختلفة لإثارة العنف، وتوسيع نطاقه.

• التطرف والتجنيد: باتت وسائل التواصل الاجتماعي تمثل قناة مفضلة لبعض التنظيمات المتطرفة لتجنيد عناصر جديدة لديها، ناهيك عن استخدامها كوسيلة للتنسيق والتلاعب، وقد تمكن تنظيم داعش الإرهابي بدرجة كبيرة من الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي.

ويجب الأخذ في الاعتبار أن حملات التضليل وترويج خطابات الكراهية وتجنيد الجماعات العنيفة عبر التلاعب بالرأي العام لا تعد ظاهرة حديثة، فلطالما حدثت هذه الأنشطة في الماضي عبر وسائل الإعلام التقليدية، بيد أن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دوراً محورياً في تغيير قواعد اللعبة، حيث تزيد منصات التواصل الاجتماعي من قوة الاتصال على النطاق الدولي، ما يعني أن حجماً أكبر من المعلومات المسلحة يمكن أن يصل لعدد هائل من الأفراد وبشكل أسرع .من ناحية أخرى، تقوم منصات التواصل الاجتماعي المختلفة بتخصيص المعلومات وفقاً لتفضيلات الأفراد، ما يجعلها أكثر اتساقاً مع تفضيلاتهم ومن ثم قدرة أكبر على التأثير .بل إن عملية التعلم الآلي التي تعتمدها هذه المنصات تأخذ التخصيص لدرجة أبعد، من خلال تقديمها لمحتوى أكثر استهدافاً، مع تضييق نطاق المعلومات التي يستقبلها الفرد بموضوعات ووجهات نظر تؤكد بعضها بعضاً .كذا، تؤدي عملية التخصيص إلى تفاقم خطر الصراعات والاستقطابات الاجتماعية الحادة، حيث تنظم المنصات المختلفة مستخدميها إلى مجموعات مشتركة في التفضيلات والخصائص الديموغرافية، ما يجعل الشائعات وكأنها حقائق ذات مصداقية، مع تحول الغضب الجماعي على وسائل التواصل الاجتماعي لعنف في الواقع الفعلي .

تطور استخدام الخصوم لوسائل التواصل الاجتماعي كسلاح

بدأت العديد من الدول، والفواعل من غير الدول، إلى توظيف وسائل التواصل الاجتماعي بشكل متزايد لخدمة أغراضها المختلفة، لا سيما في ظل الحديث عن أكثر من 2.3 مليار مستخدم لهذه المنصات المختلفة، وهو ما زاد من التهديدات التي يطرحها مفهوم «تسليح وسائل التواصل الاجتماعي»، في ظل إمكانية الوصول إلى كميات هائلة من البيانات الشخصية .

وقد شهدت السنوات الماضية تطور تسليح وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة بطرق متباينة، وتعددت الأمثلة التي تعكس ذلك لتحقيق أهداف سياسية أو أيديولوجية مختلفة، ويمكن الإشارة لأبرز هذه الأمثلة على النحو التالي:

• الانتخابات الرئاسية الأمريكية عامي 2016 و2020: وجهت العديد من التقارير الأمريكية اتهامات لروسيا بشأن توظيف وسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير خلال الانتخابات الرئاسية عام 2016 و2020، من خلال نشر الدعاية المضللة والمعلومات المغلوطة على المنصات المختلفة بغية توجيه الناخبين الأمريكيين، وهو ما اعتبرها البعض نقطة تحول في تسليح وسائل التواصل الاجتماعي للتأثير على العمليات السياسية والانتخابية في الدول المختلفة .وفي هذا الإطار، تشير بعض التقديرات إلى وجود شبكة من الروبوتات، التي ضمت أكثر من 60 ألف حساب روسي، استهدفت وسائل التواصل الاجتماعي، لا سيما تويتر، من خلال التأثير على خوارزميات الشبكة ونشر فديوهات متنوعة ومنشورات مختلفة للتأثير على توجهات الناخبين .

وبعد أسابيع قليلة من انتخابات 2016، تم إرسال أكثر من 10 آلاف تغريدة، كل منها محملة بروابط تشعبية تحتوي على برامج ضارة، إلى موظفي وزارة الدفاع الأمريكية على تويتر) منصة X حالياً(، من خلال استهداف أسر الموظفين، الأمر الذي تمخض عنه اختراق الأجهزة التي تحتوي على معلومات حكومية حساسة، عن طريق شبكات الإنترنت المنزلية المشتركة، في هجوم تم اعتباره آنذاك بمثابة الهجوم الأكثر تنظيماً وتنسيقاً ضد الولايات المتحدة الأمريكية .

• استفتاء بريكست لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي: أشارت العديد من التقارير إلى أن استفتاء الخروج من الاتحاد الأوروبي الذي تم تنظيمه عام 2016 في المملكة المتحدة تأثر أيضاً بالكثير من المعلومات المضللة والدعاية التي تم نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تم استهداف بعض الفئات السكانية المحددة بهذه المعلومات والدعاية .فقد أشار تقرير صادر عن مؤسسة «الراديو الوطني العام» الأمريكية، أن حوالي ثلث المحادثات التي انتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي كانت عبارة عن روبوتات تستهدف دعم اتجاه معين.

• العملية الانتخابية في الدول المختلفة: شهدت السنوات الأخيرة اعتماداً متزايداً على وسائل التواصل الاجتماعي في توجيه مسارات العمليات الانتخابية في العديد من الدول .ففي الهند، على سبيل المثال، عمدت الاحزاب السياسية إلى تسليح منصات التواصل الاجتماعي واستخدامها لاستهداف فئات سكانية محددة عبر نشر رسائل مخصصة لهذه الفئات للتأثير عليها وتصويتها في الانتخابات المختلفة .وعلى المنوال ذاته، كشفت بعض التقارير عن دور رئيسي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في توجيه مسارات العمليات الانتخابية المختلفة في المكسيك.

• نموذج الائتمان الاجتماعي الصيني: ثمة نموذج آخر تطرحه الصين حالياً، يسمى نظام الائتمان الاجتماعي، وهو نظام يعتمد على مراقبة كافة أنشطة الأفراد على وسائل التواصل الاجتماعي، فكل ما يبحث عنه الفرد أو يقوم بشرائه يتم جمعه في درجة واحدة من الجدارة الاجتماعية، وبناء على هذه الدرجة يتم إعطاء الفرد مكافآت مختلفة، أو عقوبات

متباينة .بل ويصل الأمر أن درجة الفرد لا تعتمد فقط على ما يقوم به فقط، لكنها تعتمد أيضاً على ما يفعله الآخرون في شبكة الفرد من أسرته، الأمر الذي يعطي نمطاً جديداً في توجيه سلوك الأفراد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي .

• حرب متبادلة على وسائل التواصل الاجتماعي: بدأت الدول المختلفة تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي كأدارة رئيسية في تصعيدها المتبادل ضد بعضها بعضاً، فقد قضت المحاكم الألمانية بعقوبات على النقر على زر الإعجاب للمنشورات الموالية لروسيا .ناهيك عن الضغوطات المتزايدة التي تتعرض لها شركات وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة من قبل المفوضية الأوروبية لمحاولة حظر وسائل الاعلام الروسية التي لديها ملايين المتابعين، بل وتم حظر بعض الصحفيين المستقلين ووضعهم تحت تصنيف وسائل الإعلام التابعة لموسكو .في المقابل، ردت الأخيرة بحظر فيسبوك وانستغرام باعتبارهما منظمتين متطرفتين .

تسليح وسائل التواصل الاجتماعي ومسارات الحروب الحديثة

لطالما تم اعتبار وسائل الإعلام الاجتماعية أداة حيوية لخدمة الأغراض السياسية، فهي لا تؤثر فقط على الآراء والمستمعين، لكنها أنطوت على تأثيرات جوهرية على مسارات الحروب، بداية من الحرب العالمية الثانية، عندما اعتمدت ألمانيا آنذاك لغزو فرنسا على الراديو، كوسيلة اتصال جديدة وسريعة ذات تأثير عسكري استراتيجي وتكتيكي، لربط الدبابات والطائرات بالسكان على نطاق واسع .فلم تساعد الاتصالات اللاسلكية فقط في تحقيق التنسيق والتحرك بشكل أسرع للألمان، لكنها ساعدت على تحقيق الاتصال المباشر بالسكان الفرنسيين، ونشر عدوى الخوف .وقد تكررت هذه الاستراتيجية مع تنظيم داعش الإرهابي، والتي اعتمدت أيضاً على الترويج لنفسها وتسليحها لوسائل التواصل الاجتماعي، لا سيما تويتر، في غزوها المفاجئ للعراق، وهو ما مكنها من هزيمة قوة تتفوق عليها بعدة أضعاف، من خلال شبكاتها من الروبوتات على تويتر للدعاية لهجماتها وتصوير تحركاتها ونشر عدوى الخوف، في مؤشر مهم بشأن كيفية تغيير وسائل التواصل الإجتماعي، التي تشكل أبرز أدوات الاتصال الراهنة، لمسار الحروب الراهنة .

وانطلاقاً من هذا الطرح، أصبح العصر الحالي يتم تعريفه من خلال حروب المعلومات عبر الإنترنت، باعتبارها جانباً رئيسياً للعقيدة والسلوك العسكري للدول المختلفة، إلا أن ذلك سيؤدي على الأغلب إلى طمس الحدود بين المقاتلين الفعليين وغير المقاتلين، ومن ثم بلورة منطقة رمادية تشكل جزء رئيس من ملامح الحروب الحديثة.

تسليح وسائل التوصل الاجتماعي في الحرب الأوكرانية

تزايدت وتيرة تسليح وسائل التواصل الاجتماعي بشكل ملحوظ منذ اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية .وعلى الرغم من تكرار استخدام عمليات تسليح وسائل التواصل الاجتماعي في الحروب الحديثة، فإن مركز ابتكار الحوكمة الدولية أشار إلى أن الحرب الروسية – الأوكرانية تعد أول حرب كاملة على وسائل التواصل الاجتماعي، وأنها تشكل نقطة فاصلة في مسار الحروب المستقبلية .فقد جاءت الحرب الروسية الأوكرانية لتعيد تشكيل المشهد المعلوماتي في الحروب الحديثة .

ولقد تطورت الحرب الروسية – الأوكرانية لتصبح واحدة من أكثر حروب المعلومات تعقيداً في التاريخ الحديث، والتي لم تبدأ فعلياً منذ اندلاع الحرب المباشرة في فبراير 2022، لكنها بدأت منذ عام 2014، حيث بدأ الاعتماد على منصات التواصل الاجتماعي كأداة قوية لتشكيل التصور العام العالمي، وهو ما أفرز حالة من الانقسام بين السردية الغربية الخاصة بأوكرانيا في مقابل السردية الروسية، في إطار حرب المعلومات والحرب الهجينة بين الجانبين .

من ناحية أخرى، بينما عمدت روسيا للترويج لمنظورها الخاص بالعلاقات التاريخية بين الروس والأوكرانيين، اعتمد الرئيس الأوكراني، فلاديمير زيلينيسكي، على حسابه الخاص على منصة «x» للتواصل الفعال مع الجمهور العالمي منذ بداية اندلاع الحرب في أوكرانيا .بل إن وسائل التواصل الاجتماعي أدت إلى ظهور ما يعرف بـ «مؤرخي المواطنين»، وهم الأفراد الذين يشاركون التطورات والتحديثات في الوقت الفعلى من خلال حساباتهم على منصات التواصل الاجتماعي، وهي أحد أبرز الأدوات التي عملت على إعادة تشكيل مشهد التضليل في هذه الحرب .فبينما تمثل وسائل التواصل الاجتماعي آلية جيدة لتوثيق حقائق الحرب، بيد أنها سهلت أيضاً عملية انتشار المعلومات المضللة .وهو ما ظهر أيضاً في استراتيجيات التضليل التي اتبعتها أوكرانيا أيضاً في هذه الحرب، حيث عمدت كييف إلى نشر الكثير من القصص البطولية التي تم الكشف لاحقاً عن كذبها، في محاولة لحشد مزيد من الدعم الدولي لها، وفي الوقت ذاته تعزيز الروح المعنوية لجنودها .كذا تم الكشف عن كثير من المواقع التي تنشر الروايات الكاذبة والمعلومات المضللة لصالح طرفي الصراع، ومحاولة كل طرف الترويج للسرديات واستراتيجيات التضليل الداعمة لموقفه .

كذا، للمرة الأولى في تاريخ الحروب الحديثة التي تتمكن فيها دولة محاربة من حشد مستخدمى وسائل التواصل الاجتماعي في مختلف أنحاء العالم، من خلال الأجهزة الرسمية للدولة .فقد كشفت بعض التقارير الغربية عن قيام وزارة التحول الرقمي الأوكرانية بالتفاوض على صفقات سرية مع منصات التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة، كما تمكنت الحكومة الأوكرانية من تجنيد الآلاف في الداخل والخارج كجزء من قواتها المسلحة الرقمية التي تستخدمها ضد روسيا . وتتراوح مهام هذه القوات الرقمية بين حرب المعلومات، بما في ذلك استهداف المواقع ووسائل الاعلام الروسية وتلك المتعاطفة مع موسكو في الغرب، وصولاً إلى مهاجمة البنية الأساسية العسكرية والمدنية في الداخل الروسي .

التداعيات والمخاطر

باتت عملية تسليح وسائل التواصل الاجتماعي تثير حالة من القلق المتزايد لدى الدول المختلفة، في ظل التداعيات والمخاطر التي تثيرها، والتي يمكن عرض أبرزها على النحو التالي:

• الدعاية والتضليل :يمكن أن يؤدي تسليح وسائل التواصل إلى نشر معلومات كاذبة ودعاية مضللة، الأمر الذي قد يؤول إلى تداعيات سلبية على القرارات السياسية والرأي العام، وتقويض الثقة في المؤسسات الحكومية والأنظمة السياسية ووسائل الإعلام.

• الحرب النفسية واضطرابات اجتماعية :يتم توظيف وسائل التواصل الاجتماعي للتلاعب بالأفراد وإحداث حروب نفسية، كالشعور بالوحدة والاكتئاب، واضطرابات اجتماعية في بعض الدول.

• الترويج لخطاب التطرف والكراهية :يقوم بعض الأطراف بتسليح وسائل التواصل الاجتماعي من أجل الترويج للأيديولوجيات المتطرفة ونشر خطاب الكراهية، الأمر الذي قد ينتج عنه تفاقم العنف والاضطرابات الاجتماعية، من خلال تفاقم الاستقطاب والانقسامات الاجتماعية في هذه الدول.

• تآكل خصوصية الأفراد: يتم توظيف وسائل التواصل الاجتماعي من أجل جمع واستخدام البيانات الشخصية، وهو ما يقوض كثيراً من خصوصية وأمن الأفراد ويعرضها للخطر.

• التأثير في مسار الانتخابات والعمليات السياسية: تقوم بعض الدول باستغلال وسائل التواصل الاجتماعي من أجل التدخل في الانتخابات والعمليات السياسية في بعض الدول الأخرى، ما قد يؤثر في مسار هذه الانتخابات وربما يؤدي إلى تقويض الاستقرار السياسي في هذه الدول.

• الهجمات الإلكترونية والحروب السيبرانية :باتت وسائل التواصل الاجتماعي أدوات رئيسة في الهجمات الإلكترونية التي تشنها الدول والفواعل من غير الدول ضد بعضها بعضاً، وهو ما يؤثر بالسلب على البنية التحتية الحيوية في الدول المختلفة ويعرض أمنها القومي للخطر، ناهيك عن الأضرار المرتبطة بالأنظمة المالية، كعمليات الاحتيال وسرقات الملكية الفكرية والأزمات المالية الي قد تضر بالمؤسسات المختلفة، وربما الدول.

• تفكك شبكة الإنترنت العالمية: يمكن أن يؤدي تسليح وسائل التواصل الاجتماعي إلى تحول خدمات الإنترنت المحايدة إلى أصول فعلية للخصوم، أو ما بات يطلق عليه «التسييس الجيوسياسي»، فضلاً عن إمكانية تفكك شبكة الإنترنت كظاهرة عالمية نتيجة تسليح شركات تقديم خدمات الإنترنت الجيوسياسي.

ورغم أن منصات التواصل الاجتماعي تعمل على التخلص الدوري من الروبوتات والحسابات المزيفة، لكن الأخيرة لديها القدرة على التجديد تلقائياً، كما أن هذه الروبوتات بإمكانها إنشاء حسابات وإبقائها خاملة وتنشيطها بعد أشهر أو حتى سنوات، الأمر الذي يزيد من صعوبة اكتشافها.

وثمة إشكالية أخرى تتعلق بالوضعية القانونية الغامضة لعمليات تسليح وسائل التواصل الاجتماعي، فالنظم القانونية لم تنظم حتى الآن المشكلة بشكل كافٍ، الأمر الذي أفضى إلى مزيد من التحديات المرتبطة بهذا الأمر، كحرية التعبير وتسييس مقدمي خدمات الإنترنت وتفتيت شبكة الإنترنت العالمية .وبينما ينظم القانون الدولي الإنساني الحرب السيبرانية، إلا أن تسليح وسائل التواصل الاجتماعي لا يتناسب تماماً مع معايير القانون الدولي الإنساني، خاصةً وأن الجهات الفاعلة في حرب المعلومات التي تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي هي في الواقع ليست أفراداً متخصصين، بل غالباً هم من مستخدمي الإنترنت المدنيين .

وفي الختام، تشكل عمليات تسليح وسائل التواصل الاجتماعي أدوات رئيسية في الحروب الحديثة، حيث يمكنها تأجيج الأوضاع السياسية والاجتماعية في الدول المستهدفة، وتقويض الثقة في الموسسات الحكومية، وخلق حالة من الاستقطاب الحاد .وتكشف عمليات تسليح وسائل التواصل الاجتماعي عن الحاجة لتعزيز المعرفة الرقمية، ومزيداً من الاصلاحات التي ينبغي أن تقوم بها شركات التواصل الاجتماعي لتحسين الشفافية حول السياسات والخوارزميات التي تشكل الخطاب العالمي.